19me : annéeNo 914 — Le Caire - 7 — 1 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ — ٨ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

طه حسين باشا

رجلان فى مصر كانما جاءتهم الباشوية بعد أن كبرا عليها وضاقت عليهما : طلعت حرب وطه حسين !

رفع طلعت حرب قواعد الاقتصاد المصرى على أربعة عشر أساً من بنك مصر وشركاته ، فارتفعت مكانته فى نفوس الناس حتى تهيبوه فى اللقاء والخطاب، ورأوا لقب (البك) قد نزل عن قدره فاختالوا على تعظيمه بشتى الألقاب فقالوا : منقذ مصر العظيم، وزعيم الاستقلال الاقتصادى، وبطل النهضة القومية فلما أتته الباشوية آخر الأمر كانت أشبه بثوب الصبى الناشئ على جسم الرجل المكتمل.

ووثب طه حسين بالتعليم فى مختلف درجاته وثبة وجد كل مصرى أثرها ، فى نفسه إن كان معلماً أو تلميذاً ، وفى أسرته ان كان أبا أو وليا ، وفى بيئته ان كان جاراً أو صديقاً . ثم رحل إلى أوربا رحلة فى سبيل الوطن والعلم كانت أجدى على مصر من أعمال أكثر الوزارات فى الداخل ، ومن أقوال أكثر السفارات فى الخارج ! كان فى تنقله المبارك الموفق من بلد إلى قطر، ومن معهد إلى جامعة، ومن عالم إلى وزير، ومن حديث إلى خطبة، ومن خطبة إلى محاضرة، دعاية لمصر من نوع فريد صححت ما افتراه على كفايتها العدو ، وأصلحت ماجناه على كرامتها الصديق ، وسمت بحكومتها القائمة من الأفق المنخفض للمفاوضة فى الأرصدة الأسترلينية والمطالب القومية ، إلى الأفق المرتفع للمفاوضة على توثيق العلائق الإنسانية ، وتعميم الثقافة العالمية ؛ فرأى الناس فى الوزير الذى جعل وزارته مبدأ تاريخ ، وفى الجامعى الذى خلق لنا من مهرجان الجامعة أوسع دعاية ، وفى الأديب الذى هيأ للأدب أعظم نهضة ، رجلا لايسامت قدره لقب (البك) ، فتوجوا اسمه الغنى عن التتويج بالألقاب المختلفة فقالوا : عميد الأدب العربى ، وأبو التعليم ، وحامى المعلمين ، وبطل الثورة الفكرية . فلما أتته الباشوية آخر الأمر كانت أشبه بطوق عمرو حين شب عنه وربا عليه !

لم يكتسب طه حسين من الرتبة ما يكتسبه عادة فقير المجد أو غنى الحرب من ورم فى المعنى وانتفاخ فى الذات ؛ وإنما اكتسب منها دلالتها السامية على تكريم ملكه وتقدير أمته . وتكريم صاحب الجلالة الفاروق لذوى الفضل شيمة من شيمه ، وفيض من كرمه ، فلا غرابة فيه ولا عجب منه . ولكن تقدير الأمة لرجل من رجالها على هذه الصورة الرائعة وبهذا الاجماع النادر أمر فيه الغرابة ومنه العجب

لقد كان الانعام السامى على صاحب المعالى طه حسين باشا افتة كريمة من صاحب الجلالة أعلن بها رضاه عن وزير من وزرائه نفذ أمره فى خطاب العرش ، وأمضى رأيه فى سياسة الدولة ؛ كما كان فرصة موانية لهذا الشعب الكريم عبر فيها عن اعترافه بالجميل لرجل من رجاله عمل فأخلص العمل ، ووعد فأنجز الوعد ، وقاد فأحسن القيادة !

احمد حسن الزيات

عميد الأدب العربي منذ أربعين سنة

طه حسين الشاعر

للأستاذ محمد سيد كيلاني

عرف الناس طه حسين كاتبا وقصاصا وعالما وباحثا وأستاذا ومربيا ووزيرا، ولكنهم لم يعرفوه شاعرا، ومن هذا المقال سيعلمون أنه عالج الشعر في صباه ثم انصرف عنه في شبابه. فلو ظل يعالجه لظفر بالأولية فيه كما ظفر بها في كل شيء.

بدأ معالي الدكتور طه حسين باشا حياته الأدبية شاعرا لا كاتبا. فلهج بالشعر وهو صبي وكان الدافع له على ذلك وفاة أخيه في وباء الكوليرا في صيف عام ١٩٠٢ وقد ذكر ذلك في الجزء الأول من كتاب الأيام فقال إنه كان ينفق وقتا طويلا في نظم القصائد يرثى بها أخاه ويختم كل قصيدة بالصلاة على النبي واهباً ثواب هذه الصلاة إلى أخيه. ولم يدون لنا هـــذا الشعر فلا نعرف عنه شيئا.

ولما جاء القاهرة ظل ينظم القصائد من حين إلى حين. وقد حدث ذات مرة أن الشيخ المرصفي كلف تلاميذه بالكتابة في موضوع من الموضوعات شعرا ونثرا. قال الشيخ أحمد حسن الزيات أستاذ الآداب العربية بكلية الفرير بالقاهرة من خطبة ألقاها في حفل تكريم الدكتور طه بنيل الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة ونشرت بصحيفة الجريدة في ٢٦ مايو سنة ١٩١٤ ما نصه «... فأخذنا نعمل موقنين أن الفتى (يعني الدكتور طه حسين) لن يبزنا في نثر الكلام ونظامه، وإن بزنا في حفظه وفهمه. ولكن ما تقولون وقد غدا على الشيخ بقصيدة حماسية الموضوع جاهلية الأسلوب تمثل ما انطبع في خاطره من صور الشعر القديم؟

«سمعنا تلك القصيدة فازدرينا أنفسنا وسترنا ما قلنا وشعرنا بالضعف أمام تلك القوة النادرة. فأحللناه منا محل الإنسان من العين والسواد من القلب ومضينا على أثره نخوض بحور الشعر فتارة نطفو وأخرى نرسب وهو في السباحة ماهر وبالطريق خبير ... الخ»

والظاهر أن هذه القصيدة التي يحدثنا عنها الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات قد ضاعت وذلك لأن الشاعر لم يكن متصلا بالصحف في ذلك الوقت فلم تنشر

وأول قصيدة نشرها كانت في رثاء حسن باشا عبد الرازق وقد ظهرت في صحيفة الجريدة بتاريخ أول يناير سنة ١٩٠٨ ومطلعها

أفي الحق ما أسمعتنا أم توهما تبين فقد بدلت أدمعنا دما

والحب بين الشاعر وبين آل عبد الرازق قديم. وقد توثقت أواصر المودة والإخاء بينه وبينهم على ممر الأيام. ولما وقف منذ أعوام يرثى المغفور له مصطفى باشا عبد الرازق كان رثاؤه مؤثرا إلى حد بعيد

وفي عام ١٩٠٩ رأينا الشاعر قد مال إلى جانب الحزب الوطني وأخذ ينشر في صحيفة مصر الفتاة قصائد حماسية تارة تحت عنوان «حديث مع النيل» وتارة تحت عنوان «في القاهرة» وفي بعض هذه القصائد يظهر في مظهر رجل الدين الذي ملئ قلبه يقينا وإيمانا فتراه يعظ ويرشد، ويذكر ويحذر، ويبصر وينذر، ويدعو الناس إلى التمسك بآداب الدين وأحكام الشريعة الغراء، انظر إليه حين يقول من قصيدة نشرت في صحيفة مصر الفتاة بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٠٩

أنفذوا حكمه على كل جان	لا ينلكم من دون هذا فتور
ارجموا واجلدوا كما أمر الله	ه تجانبكم الخنا والفجور
إن من يهدر الفضيلة يهدر	ليس كفئاً لذنبه التعزير
طرب النيل ثم قال امر الله	ه قد كان يزدهيني السرور
أصحب للدين من أهل مصر	أنت والله للنجاة بشير
نسيت مصر دينها فعداها	كل خير وحلها الشرور
أهملت فيكم الفضيلة من أم	مل فيكم كتابها المسطور
لن ترى بين أهل مصر وفيا	يقتضيه الوفاء إلا البدور
عهدنا بالوفاء أيام كان الد	دين غضا تلين منه الصدور

وكان يكتب مقالات تدور حول هذه المعاني. ومن أمثلة

ذلك ما نشره فى صحيفة مصر الفتاة تحت عنوان « ويحى من غد » بمناسبة حلول شهر رمضان . ومما جاء فى هـذا المقال قوله :

« … فستطلع علينا شمس الغد لا محالة ونحن بين رجلين ، مذعن لأمر ربه ، وخارج عليه . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقلوبهم خاشعة لربهم ، وأفواههم ملجمة إلا عن ذكره ، ناطقة إلا بلغو الحديث . وأما الجاحدون لأمر ربهم فنفررون يتبعون أئمة من شياطين الإنس يهجون بهم مناهج التى قد ضربوا فى الفاسقة حتى خرجوا منها أصفار الأكف خفاف العياب . وإذا سألت أحدهم ماخطبك أهذر وأهجر ، وتشدق وتفيهق ، لاتأخذه رهبة من الله ، ولا يردعه حياء من نفسه ، ليس بدعا من أعمال الناس أن يزع الإنسان نفسه عن الطعام والشراب ساعات معدودات فكثيرا ما نضطر إلى شئ من ذلك ؛ وإنما المشقة كل المشقة فى أن نؤدى به حقا لله أونقضى به له واجبا

« ضعف فى الإيمان وتزعزع فى العقيدة . ولو أن هنالك يقينا صادقا أو قلوبا مطمئنة لهان علينا الإذعان لله والقيام بحقوقه وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . ليصم من شاء وليفطر من شاء فلسنا من أمرهم فى شئ . ولكن أقبل أيها الشهر الكريم فستلقاك وجوه باشة وصدور رحبة ، ولئن كنت موسم نسك لقوم فإنك موسم لهو لآخرين »

والشئ الذى لا ريب فيه أن الشاعر حينما نظم هذه القصائد وكتب هذه المقالات لم يكن متكلفا ولا متصنعا ، وإنما كان يرسل القول شعرا أو نثرا — عقيدة ثابتة فى قرارة نفسه ، ممتزجة بدمه ولحمه لذلك انتفعت فى دراستى لتطوره الفكرى بما نظم ونثر فى ذلك الوقت

ومن قوله فى هذه القصيدة

حسبكم فى الآداب ما قاله فلـ ... تير أو ما أتى به فيكتور

نعم ما قال ذا وما قال هـذا ... ونعما قال العليم الخبـير

فخـذوا من كليهما بنصيب ... وتوخوا هداهما تستنيروا

. . .

والظاهرة الثانية على شاعرنا هى الدعوة إلى الجد وترك اللهو والخمول والكسل . وهو يدعو إلى العمل المتواصل المنتج على أن نقلل من الكلام ما أمكن . وكان ساخطا على المجتمع المصرى لما فيه من عيوب كانت سببا فى تخلف الأمة وتأخرها . ولكنه على سخطه وتبرمه لم يكن متشائما ولا يائسا . بل كان الأمل يحدو والرجاء فى نهضة الأمة يملأ فؤاده . انظر إليه حين يقول من القصيدة المتقدمة

كثر المدعون فى مصر حتى ... كاد يقضى على البلاد الغرور

حسبكم يابنى الكنانة عجبا ... كسل مخجل وفخر كثير

ليكن قولكم أقل من الفعـ ... ـل فلن يبلغ العلاء فخور

أجمعوا إن أردتم السير للسؤ ... دد والمجد أمركم ثم سيروا

أو يقول من قصيدة أخرى نشرت فى الصحيفة المذكورة بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٠٩

كاتب نائم وذو الشعر لاه ... وأديب سبته كأس الشمول

شاعر النيل لاعدتك العوادى ... هل لهذا السكوت من تأويل

أسلموا دارهم وعقوك ياني ... ل فما إن لهم سوى التنكيل

فض فأغرقهمو فأنت حليم ... غض فأهلكهمو وغير بخيل

فظاهرة السخط الشديد هذه لن تجدها عند أحد من شعراء ذلك العصر فما لا ريب فيه أن الطالب طه حسين قد انفرد بها دون سواه . لا يزال محتفظا بها

والدكتور طه حسين لا يعرف القناعة بل يعتبرها ضعفاً وخوراً . وقد نشأ على تلك العقيدة كما ترى من شعره فهو من غير شك صاحب روح قد بلغ الأوج فى السمو والرفعة . فجدير بنا أن نسلك سبيله ونهتدى بهديه . وإنى بهـذا أقرر حقيقة من الحقائق

. . .

قلنا إن الطالب طه حسين انضم إلى الحزب الوطنى وأصبح داعياً من دعاته . وقد ظهر أثر ذلك فى شعره فتراه يحمل على المحتلين حملة شعواء ويهاجمهم هجوماً عنيفاً ، ويدعو إلى كفاحهم وجهادهم ، ويظهر مقته وحقده على الأجانب الذين يمتصون دماء المصريين ويستنزفون أموالهم . ومما نظمه فى ذلك قصيدة قيمة نشرت بمصر الفتاة بتاريخ ٥ نوفبر سنة ١٩٠٩ تحت

عنوان « هم جانش » .

تيمموا غير وادى النيل وانتجعوا ... فليس فى مصر للأطماع متسع
كفوا مطامعكم عنا أليس لكم ... مما جنيتم وما تجنونه شبع
يا للكنانة من منكود طالعها ... ماذا يجر عليها النوم والطمع
من مثل أبنائها فى سوء صفقتهم ... منها إذا ما اجتنوا من غرسهم وزرعوا
هم الذين ابتنوا بالأمس واحتفروا ... فما لهم إن أرادوا حقهم دفعوا
لا يصنع الله للمستعمرين فكم ... يلقى بنو النيل من جراء ما صنعوا
أكلما جاع غربى تيممنا ... حتى إذا اكتظ أغراه بنا الجشع
لا جاد مصر حيا . لا أخصبت أبدا ... لحظ أبنائها من خصبها الضرع
يا نيل إن سقت المستعمرين ولم ... تطب لأبنائك العلات والجرع
فلا جريت ولا رويت ذا ظمأ ... ولا أمدك غيث واكف همع

ومنها :

الذنب ذنب بنى مصر فإنهم ... هم الذين إذا ما استخضعوا خضعوا
هم الذين استبدت فى حقوقهم ... يد الدخيل فما ذادوا ولا منعوا
هم الذين يقول الناس إنهم ... إن صادفوا ملهيا من جوعهم قنعوا
لا أكذب الله كم فينا ذوو شمم ... إذا أريدت بهم مكروهة فزعوا

هذه القصيدة قيلت فى أيام الوزارة البطرسية ، وقد كان شعور السخط عليها شديداً . ولما كانت هى مجرد آلة فى يد المحتلين كانت حملات الشعراء والكتاب موجهة فى الحقيقة إلى السياسة البريطانية وإلى الأجانب الذين يسندون هذه السياسة ويشدون أزرها ولا شك فى أن روح الشاعر قد بدأ سامياً . ومما لا شك فيه أن وجوده فى محيط الحزب الوطنى قد أثر فيه وطبعه بهذا الطابع .

وقد هنأ الشيخ عبد العزيز جاويش حينما خرج من السجن بقصيدة نشرت فى مصر الفتاة بتاريخ ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٩ نذكر منها :

الآن حق لك الثناء ... فلتحي وليحي اللواء
ولتحي مصر وحقها ... شاء العدى أو لم يشاءوا
ستعلو بها أصواتنا ... حتى ترددها السماء

ومنها :

إن كان ذكرك للجلا ... ء يسوء فليكن الجلاء
أو كان صوت الشعب عند ... هم هو الداء العياء
فليعل صوت الشعب حـ ... ـتى يرجعوا من حيث جاءوا
سيرون أن الحق يأ ... بى أن يدوم له خفاء
سيرون أن الحق مهـ ... ـما يهتضم فله العلاء
لم يسجنوك وإنما ... ردوا الأمور كما تشاء
ما إن أصابتك الإساءة ... بل لأنفسهم أساءوا

. . .

هذا هو الجانب السياسى فى شعر الطالب الشاب طه حسين . وهو جانب مشرق ، ترى فيه الشجاعة والإقدام والدعوة إلى التضحية بالمال والروح فى سبيل الوطن والذود عن حياضه .

ولما عاد الخديو عباس من الحجاز نظم الشاعر قصيدة نشرت فى الجريدة بتاريخ ٢٦ ينـاير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « رجاء الدستور بعد الحج المبرور » ومما جاء فيها قوله :

أنت والدستور فى الحـ ... ـب لديها أخوان
وترى حجك باليمـ ... ـن لها نعم البشير
كن لوادى النيل حصنا ... من عوادى الحدثان
وامنح الدستور مصرا ... أنت إن شئت قدير

. . .

هل سمعت الصوت يدعو ... ك من القبر الكريم
إنما أنت على النا ... س وصى وأمين
لا تذدهم عن صراط الـ ... ـحق والنهج القويم
أرض بالدستور مصراً ... ترض رب العالمين

وقد حاول الشاعر أن يخاطب الخديو عن طريق العاطفة الدينية ، فذكر القبر النبوى الكريم وأن النبى دعا الخديو قائلا له إنما أنت وصى وأمين على الناس فاجعلهم يسلكون الصراط المستقيم ولا يكون هذا بغير الحكم الدستورى . فإن أنت منحت شعبك الدستور فقد رضى الله عنك ، وإن حلت بينهم وبين ما يشتهون فقد عرضت نفسك لغضب الله ولا ينفعك حج ولا صلاة .

ننتقل بعد ذلك إلى الشعر الوجدانى الذى نظمه الشاعر وصور فيه خلجات نفسه وما يتردد بين جوانحه من مشاعر مختلفة وأحاسيس متباينة كالرضى والسخط ، والحزن والفرح ، والتفاؤل والتشاؤم ، والحب والبغض . فمن ذلك قصيدة نشرت فى مصر الفتاة فى ١٥ يناير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « يوم القران » وقدم لها بقوله : « دعيت إلى حفل أقامه صديق الأديب الأستاذ

الشيخ أحمد حسن الزيات مساء الخميس الماضى لعقد قرانه . فلما أجبت الدعوة راقنى ما كان فى الحفل من جمال ولاسيما ذلك النوع من الغناء القديم الذى طالما اشتقت إلى سماعه »

قال :

يا خليلى بســلاى حبــذا يوم القران
حبذا أمس فقد أد نى نوالا غير دان
حبــذا ليـلة أمس راق لى فيهـا زمانى
ليلة قد نلت فيها من حظوظى ما شفانى
أنا لا أحمد منهـا حسن توقيع الأغانى
إنمـا أحمــد منها حسن أنسى بفلان
لم أزل أقصف حتى خلت أنى فى الجنـان
بينما نحن على ذ لك زف القمران
آه يا زيات ما أجـ مل ساعات الأمانى
هن قد هجن لنفسى ذكر سحر وعنان
أنا لولا سوء حظى لم أكن إلا ابن هانى
يا شقيق النفس ضاق الشعر عن نظم التهانى
لا تلمنى إن دعوت الشعر والشعر عصـانى
جل حبى لك يا زيات عن وصف البيــان

• • •

ومن الظواهر التى نقف عليها فى شعره الشكوى من البؤس وهذا النوع من الشكوى كان مألوفا بين الشعراء فى تلك الأيام . ومما قاله فى هـذا الصدد قصيدة نشرت فى مصر الفتاة بتاريخ ٢٧ نوفبر سنـة ١٩٠٩ تحت عنوان « شكاة الأديب » وقد جاء فيها :

إذا شكا البؤس كل ندب فقد نجـا منه شاعران
بينـا أمانيه كان شوقي يقصف فى كرمة ابن هانى
وحافظ فى القطار يلهو مشرد الـ [illegible] عانى
أذاك أم [illegible] شقاء فانتجم [illegible]
ثم انثنى وهو بالصفايا من سلف الدهر فى ضمان
فليطب الشاعران نفسـا إنا رضينا بمـا نعانى
ما سرنى ساعة كبؤسى والأدب النضى صاحبان

ويقول فى قصيدة أخرى نشرت بمصر الفتـاة بتاريخ أول أكتوبر سنه ١٩٠٩ .

حم الله أن حظى فى البؤ س كبير لـكننى غير عانى
كل حظى من السعادة أنى رضت نفسى على خطوب الزمان

وغنى الشاعر أحمد اللاهى مرة فـكتب فى الجريدة بتاريخ ٣١ يوليو سنة ١٩١١ فقال « كنت منذ أيام فى ملهى من الملاهى العامة التى يجب أن تتخذ مثالا صادقا لذوق الجمهور ، وقد يكون هذا التصريح خطراً جـدا ، فإن الجمهور لا يقبل من كاتب مثلى أن يزج نفسه بين صفوفه فى المراقص وأندية الغناء ، بل إن أسرتى نفسها قد تنكر على ذلك أشد الإنكار لأنها لا ترضى منى إلا أن أسلك سبيلا واحدا هو ما بين البيت والمدرسة . »

وله شعر فى الغزل يغلب على الظن أنه من وحى الخيال كقوله من قصيـــدة نشرت فى مصر الفتاة فى ٢٧ نوفبر سنة ١٩٠٩

كم حمد الغيد من بلائى مذ كان لى بالهوى يدان
تحكم الغيــد فى دهرا ثم انثنى عنهم عنــانى
لا أكذب الله إن عاما مضى حثيثا بـــلا توانى
إذا تذكرته استهلت دموع عينى كالجمان
إذ أنا فى لذة وأمن أباكر اللهو غير وانى
أرضيت بالطيبات نفسى فى غير إثم ولا افتتان
ما أخـذ الكاتبان سوءا يذودنى عن ربى الجنان
إن كان فى قبـــلة جناح فإننى منه فى أمان
لم أستبـــح نيلها فجورا بل قال بالحل (مفتيان)
قـد نلتها واسترددت منها لو بعض ما نلته كفانى
ثم طوى الدهر ذاك عنا ليت الردى قبلهـا طوانى

وهو حتى فى هـذه القصائد التى يتغنى فيها بالحب والجمال ويتحدث عن الحسان كان يدعو إلى التمسك بأهداب للفضيلة انظر إليه حين يقول من قصيدة نشرت بالجريدة فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « زلة فى الحياة »

أى هـذا العاشق الد نف حب الحق أولى
دونك العشق إذا شئت ولـكن للفضيله
أنا أنهاك من الأهــواء عما كان جهلا
إنمـا أربأ بابن النيـــل عن حب الرذيله

وكثيراً ما دعا فى شعره إلى هـذا النوع من الغرام وتراه يدافع ويناضل عن مذهبه الغرامى ويرد على من ينكر عليه ذلك

ـــفها رأيه ، ومثال ذلك قوله من قصيدة نشرت فى مصر الفتاة بتاريخ ٧ يناير سنة ١٩١٠ تحت عنوان « ليت للحب قضاة »

يقولون حرام	قلت ليست بحرام
إنمـا حرم ربى	فى الهوى ما كان رجسا
أى دين أو كتاب	لم يبح ورد الغرام
لا شفى الله لأهل الـ	ـدين والتضليل نفسا

ثم يستمر الشاعر فى قصيدته فيبين لنا الحب الطاهر والحب المدنس ؛ فالأول لا يحرمه دين من الأديان ، أما الثانى فحرم قطعا . وهو إن تغنى بالحب فإنما يقصد ذلك الحلال المباح . ثم أخذ يحذرنا من خداع النساء تحذيراً زعم أنه صادر عن تجربة واختبار قال :

إن للغيـــد خداعا	رعـا فات الفطن
أنا قـد جربت منه	إن تصدقنى صنوفا
ليس يكفى غـدرات الـ	ـغيد قوال لسن
إنمـا يأمن مكر الغيـ	ـد من كان شريفا

ولم أر لصاحبنا شعراً فى غير الأغراض المتقدمة ، اللهم إلا قصيدة واحـدة فى الهجاء نشرت فى الجريدة بتاريخ ٢٨ نوفبر سنة ١٩١١ تحت عنوان « إلى عبد الرحمن شكرى » وهى :

قل لشكرى فقد غلا وتمادى	بعض ما أنت فيه يشقى الفؤادا
بعض هذا فأنت فى الشعر والنـ	ـثر أديب لا يعجز النقادا
لو تفهمت قولنا لم يكلفـ	ـك هوى نقدنا الضنى والسهادا
عد إليه تجـــد شفاءك فيه	إنمـا تمت الحديث المعادا
واقتصد فى الغلو إن لدينا	إن تسائل بنا نصالا حدادا
خل عنك القريض إذ لست أمضى	فيه سهما ولا بأورى زنادا
إن تـكن مكثراً فرب مقل	حاول القول مرة فأجادا
كن إذا شئت آمنا مطمئنا	لم نحاول لـنا نقول انتقادا

ذلك شعر طه حسين أيام كان طالبا بالأزهر منذ أربعين سنة وهو يدل على أنه نشأ شاعراً بالفطرة وقال الشعر وهو صبى ، وأخذت شاعريته تنمو نموا مطرداً سريعاً يصاحبها إحساس فياض وعواطف حارة وشعور متدفق . وقد شهد له إخوانه فى الأزهر بذلك وأقروا له بالسبق واعترفوا بفضله وتفوقه عليهم . وكثيراً ما نجد فى نثره سمات الشعر

أما شعره فقد كان فيه مجدداً مبتكراً . قال الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات فى خطابه المتقدمة « بعد عامين من هذا التاريخ (يقصد بعد عام ١٩٠٥) استطاع بطلنا أن ينزل الشعر ، على حكمه ويروضه لذوقه فصاغ الشعر الحضرى المصرى فى مختلف الأوضاع ، لأنه وإن كان محافظاً فى اللغة فإنه حر فى الشعر ؛ رأى ما يثقل الشعر العربى من قيود القافية يوقع فى نفسه أن ينفس عنه فاخترع له الأضرب المختلفة والقوافى المتنوعة على نحو ما يصنع الإفرنج فى شعرهم ، إلا أن شعره أجمل وأكمل لاحتفاظه بالذوق العربى والطابع الشرقى . » وهكذا أراد الشاعر الناشئ أن يخفف من قيود الشعر العربى وأن يجعله سهلا مرنا لا يحتاج إلى عناء وتعب . وقد شاع هـذا المذهب عند بعض الشعراء فى تلك الأيام

وشعر الطالب طه حسين يفيض رقة وعذوبة ، وقصائده الغرامية أشبه بالأدوار الموسيقية والمقطوعات الغنائية ، عليها مسحة فنية جميلة ، فكأنها قيلت للغناء . انظر إلى قوله :

شادن عطف	عطفه الحبيب
بعد أن صدف	صـدفة الملول
كم سبى العقول	قوله الخلوب
يملك القلوب	ثم لا ينيل

* * *

كل ذى بهـاء	يمقت الوصال
يظهر الحيـاء	وهو فى صدود
من لذى السهود	منه بالنوال
إن فى الجمـال	عثرة الجـدود

فأنت ترى شعراً غنائيا جميلا ، ينبعث منه صوت حنون نكاد نرقص منه طربا . وقد ظهر الشاعر أمامنا ممسكا بقيثارته ليحرك مشاعرنا ويهز عواطفنا ويملك قلوبنا بهذه الأنغام العذبة

* * *

. نأسف له هو أن الشاعر الشاب قد اضطرته الحياة الجامعية إلى التخلى عن صوغ الشعر . فبعد عام ١٩١٠ لا نجد له من القصائد إلا النادر . ولكنه ظل محتفظا بشهرته كشاعر إلى عام ١٩١٤ وهو العام الذى سافر فيه إلى أوربا . وقد رأينا الأستاذ الزيات يقول فى خطبته التى ألقاها فى صيف ذلك العام ما نصه

« .. ولولا أن شعره مشهور مذكور لأوردت منه المعجب المطرب .. »

ولكن الشاعر منذ سافر إلى أوربا في عام ١٩١٤ لم ير له ولا بيتا واحدا. فقد هجر القريض هجرا تاما. ونسي الناس هذا الشاعر الموهوب، بل ربما يكون هو نفسه قد نسي شعره

محمد سيد كيلاني

الجامعة في ربع قرن

للأستاذ محمد محمد علي

تحتفل جامعة فؤاد الأول بمرور ربع قرن على مولدها الرسمي السعيد. وربع قرن أمد بعيد في عمر الأفراد، ولكنه ليس كذلك في حياة الجامعات. فقد احتفلت جامعة مونبلييه بعيدها الألفي. ولماذا نذهب بعيداً وأمامنا الأزهر الشريف؟

وليس من شك في أن الجامعة عنوان تقدم المجتمع، وأن أثرها بعيد في إعداد الشباب لخدمة الوطن والمساهمة في حل مشكلاته والتحمس لإصلاحه

وقد اتخذت الجامعة لها مقرا على الضفة الغربية للنيل. وفي ذلكم – كما رأى الدكتور زكي مبارك – رمز لما نسمو إليه من نقل عقل الغرب إلى روح الشرق

أنشئت الجامعة « الأميرية » في عام ١٩٢٥ بلا أهداف واضحة ومن غير رسالة محددة. وهنا يواجهنا أستاذنا الدكتور عباس عمار بتلك الحقيقة المرة؛ وهي أن النظام الجامعي يبدو أنه فرض علينا فرضا، لم يأت كما حدث في كثير من بلدان العالم الغربي نتيجة تطور طبيعي، وما دعت إليه وتشتد حاجة ماسة. « وليس أدل على ذلك من غموض النص على اختصاص الجامعة في اللائحة التأسيسية لها. فمن اختصاصها مهمة تشجيع البحوث العلمية والعمل على ترقية الآداب والعلوم في البلاد

ذلك أن النظام الجامعي – ككل نظام اجتماعي – لكي يؤتي أكله ويستسيغه الأفراد، لا بد أن يعبر من الاتجاهات الحديثة التي يتجه إليها المجتمع، وأن ينسجم مع النظم الاجتماعية الأخرى ويتفق مع وجهة المجتمع. ولقد أثار الأستاذ الكبير فريد بك أبو حديد مشكلة على جانب كبير من الأهمية (١)، وهي: هل كان نشر التعليم حقا هو العامل على نهضة الأمم في الماضي؟ وهل كان تطور التعليم في البلاد هو الباعث على تقدم البلاد، أم أن تطوره كان نتيجة تطور الحياة في المجتمع

وانتهى الأستاذ في بحثه إلى أن تطور الحياة في المجتمع هو الباعث على نشر التعليم. بيد أنه إذا كان الكثير من مظاهر نهضتنا الحديثة لم يكن نتيجة تطور طبيعي، فإن التعرض لهذه الناحية فيه زعزعة لأركان هذه النهضة. فهل كان ينبغي أن نعيش بمعزل عن التيارات العالمية ونتخلف عن الركب؟ إننا لا نستطيع، فالعالم وحدة متشابكة المصالح معقدة الروابط. والرأي السليم هو أن يوفق أولو الأمر بين الجامعة (الجديدة) وبين ما تتطلبه الحياة المصرية، وألا يغفلوا عن مكانة الجامعة في المجتمع، وما تؤديه من رسالة خطيرة

حلت كليات الجامعة محل المدارس العليا القديمة وسارت في عملها. ومع ذلك فقد ظهرت لها مآثر جليلة وآثار عظيمة. وقد كان في مقدمة ما قامت به من جلائل الأعمال هو إيقاظ الوعي القومي وشحذ العزائم والهمم. كما كانت الجامعة – ولا تزال – مبعث النور والعرفان، ومصدر أصوات الحرية والاستقلال، فحملت ألوية الجهاد في سبيل مصر العزيزة، ولم تبخل في كفاحها فروت أرض الوطن بدماء الشهداء الأبرار من أبنائها الأطهار

وما ينبغي أن ينكر الباحث صولات الجامعة وجولاتها في النهضة الأدبية والعلمية والفنية؛ إذ ازدهرت الدراسات العليا في مختلف النواحي والشؤون، فلم تعد مصر تعيش عالة على ما تجود به الحضارة الغربية بل نبغ من بين جدران الجامعة من برزوا رجال الغرب ونافسوهم؛ فئة تعتز بهم الجامعة وتفخر، ويكفي أن نذكر اسم العالم الأشهر (المرحوم) مشرفة باشا، والوزير الأديب طه حسين باشا، والبروفيسير الأثري سليمان حزين، والأنثروبولوجي الاجتماعي عباس عمار، لتخر أشهر الجامعات ساجدة تشيد بفضل صاحبة أقدم حضارة نقلت العالم من الظلمات إلى النور، وتعترف بأنه يصعب عليها أن تخرج أمثال هؤلاء الرجال ...

ومما لوحظ على الجامعة خروجها من عزلتها، فظهرت ثمار

(١) راجع صحيفة التربية — السنة الأولى.

النشاط الشعبي للجامعيين والجامعيات في إقبال الطبقات المختلفة على طلب العلم ، وفي نشر الآداب وتبسيط العلوم والفنون . ولعل من أروع ما صحب الجامعة من ظاهرات : ظاهرتين خطيرتين هما : اختلاط الجنسين وما نتج عنه من تدعيم أركان النهضة النسائية ، ثم تطور الصحافة وتنوير الرأى العام

أما اختلاط الجنسين فإن كلية الآداب قد سبقت الكليات في إباحته ، وذلك بحكم أن دراساتها من أكثر الدراسات الجامعية ملاءمة للفتيات ...

والاختلاط قد يرضى عنه قوم ويسخط عليه آخرون . وفي الواقع إن الاختلاط — كأى ظاهرة اجتماعية — له فوائد ومضار . ولم يكن في الإمكان تفادى حدوثه تلبية لدعوى المحافظين ، ما دمنا قد وافقنا على أنه ليس في استطاعة أمة أن تعيش بمعزل عن العالم ، بل لابد من التأثير والتأثر . فمن مزايا الاختلاط أنه يقلل من « خشونة » الجنس الخشن (إن جاز أن نكون كذلك) ثم أهم من ذلك وهو الحد من سيطرة الغريزة الجنسية وتخفيف وطأتها عند كل من الجنسين . وقد دلت الأبحاث النفسية على أن الجنسية المثلية Homosexuality عند الجنسين ، وكراهية المرأة misogynism عند الذكور ، وكثيراً من الأمراض النفسية والعصبية سببها الحيلولة دون اختلاط الجنسين ووقوف كل منهما بمنأى عن الآخر . ونجد أحيانا أن الاختلاط يهدف إلى أغراض شريفة أو ينتهي الأمر بإقامة دعائم الأسرة . . ومهما قيل عن الاختلاط فإن الجامعة ليست هي المكان الوحيد الذى يسمح بالاختلاط ، ثم إن ظروفها قلما تساعد على التفكير في الفساد ... على أن الاختلاط لا يخلو من مضار ، لا مندوحة عن تلافيها أول الأمر كما قدمنا . . وينبغي أن نعترف بوجودها

وقد كان فتح الجامعة أبوابها للفتيات عاملا هاما في تدعيم أركان النهضة النسائية والعناية بتعليم الفتاة ، وانتشال المرأة المصرية مما كانت تغط فيه من جهالة جهلاء وضلالة عمياء ... حتى رأينا المصرية المتعلمة تشغل مناصب الدولة الرفيعة وتصل إلى « الدرجة الأولى » ، وتخوض غمار الحياة الاجتماعية والسياسية وتؤلف أحزابا ثلاثة : بنت النيل والحزب النسائي والاتحاد النسائي ، إلى جانب الجمعيات والمنظمات النسائية

أما الصحافة فإنا نسجل لكلية الآداب مأثرة كبيرة ، إذ أفادت صاحبة الجلالة فائدة عظيمة ، وغذتها بغذاء دسم سمين ، بإنشائها معهد التحرير والترجمة والصحافة . فظهرت آثار ذلك في تنوير الرأى العام وإيقاظ الوعى القوى . وقد خطت الصحافة خطوة واسعة في خدمة الوطن وتعددت أنواعها

ومما هو جدير بالذكر ظهور الصحافة النسائية كعامل فعال في النهضة الحديثة

ويمكن إرجاع ظهور هذه الصحافة إلى عام ١٨٩٢ حين أصدرت « هند بنت نوفل » صحيفة « الفتاة » (١) على أن الجامعة هي صاحبة الفضل في نصرتها ونموها ، وهنا ينبغي أن نشيد بجهود الدكتورة درية شفيق في هذا الميدان

بيد أن الجامعة — مع قيامها بهذه الجلائل من الأعمال — فإنها قد أخفقت في تأدية رسالات كثيرة ، وفي هذا الإخفاق مآخذ يحق لأبنائها أن يأخذوها عليها

فلم تنجح الجامعة في تعميم الدراسة باللغة العربية في جميع الكليات ، وما كان لها أن تتغافل عن هذا العمل ونحن في مستهل نهضتنا القومية

ثم مسألة الصلة بين الجامعة والخريجين ، وهي أروع مظاهر الحياة الجامعية لم تعمل الجامعة شيئاً في هذا الاتجاه ، واقتصرت على الصلة بينها وبين طلبتها . بل إنه أحيانا نجد الصلة بين الأستاذ والطالب لا تتعدى ساعة المحاضرة لكن لا ينبغي أن ننكر ما في قسم الجغرافيا بكلية الآداب من نظم الحياة الجامعية الحقة ، إذ ساعدت قلة العدد على توثيق عرى الروابط بين الطلبة والطالبات والأساتذة ، هذا إلى جانب الرحلات أدى إلى تكوين « الأسرة الجغرافية »

ولا تزال ظاهرة الحفظ والتقيد « ببعض » ما جاء في كتب معينة ، واضحة في بعض الكليات ، مما يجعل شبه استمرار للمدرسة الثانوية ، ويبلد الذهن ويزيد من أمية المتعلمين

والنقطة الهامة هي تأثر الجامعة بالسياسة الحزبية ، فقد فشلت الجامعة فشلا ذريعا في تحصين أبنائها وبناتها ضد عبث الأحزاب المختلفة ، فأصبح من السهل على قلة من المهرجين وفئة

(١) راجع « المرأة الجديدة » بالعدد ٧٧٢ من الرسالة ، السنة ١٦ للكاتب

من الديماجوجيين أن يسمموا أفكار الشباب وأن يجرفوهم في تياراتهم . لم تخط الجامعة خطوات حاسمة في تعويد أبنائها التفكير الحر ، ولم تبث فيهم روح التحمس الجدي للاصلاح ، ولا يغرب عن البال ما دسته هذه الأحزاب من أفكار سامة لوثت التعليم الجامعي إذ تدور حول الحقد والطمع والطعن في الغير بالحق وبالباطل

ومع ذلك فقد لاح في الأفق بصيص من الأمل بتولى الدكتور طه حسين باشا أمور التعليم ، وأصبح لجامعة فؤاد الأول أخوات ثلاث ، نرجو أن تعمل كلها على تحقيق رسالة الجامعة في المجتمع ، وأن توجه عنايتها للكيف لا للكم

فإنا نعلق على همة الوزير الأديب آمالا كبارا ونرجو على يديه خيرا كثيرا .

محمد محمد علي

مدرس بمدرسة مغاغة الثانوية

غزوة بدر بين القرآن والشعر

بين الشعر

للاستاذ أحمد أحمد بدوي

— ٢ —

أما موقف الشعر من هذه الغزوة فلم يستطع شعراء المسلمين أن يصوروا جلالها ، وما امتلأت به نفوس المسلمين من غبطة وابتهاج إزاء هذا النصر المؤزر ، فما روى لنا من شعر قيل في تلك الغزوة لا يناسب مالها من جلال ؛ وإن المرء ليحار في تعليل هذه الظاهرة :

فقد يكون من أسبابها أن الفخر والتباهي والزهو مما كان مألوفا عند العرب ، قد حد الدين الجديد منه ، فلم يستطع الشعراء أن ينطلقوا على سجيتهم الأولى في حرية غير محدودة

وقد يكون من أسبابها عقيدتهم بأن هذا النصر إنما أمدهم به الله ، فلم يكن من نوع هذه الانتصارات التي كانوا يحرزونها في الجاهلية ، يعتقدون أن شجاعتهم هي التي أحرزتها

وقد يكون من أسباب ذلك أن هذا النصر المؤزر ربما كان وراءه في قرارة نفوسهم ألم عميق على ما أصاب بعض أقاربهم في هذه المعركة من القتل أو الأسر ، فإنه مهما تغلغلت العقيدة في النفس لا يسلم المرء من تذكر هذه الصلة الطبيعية ، ورحم الله البحتري إذ يقول :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

شعر المسلمين في هذه المعركة ليس بقوي في جملته ، وقد انتحى فيه الشعراء مناحي شتى : فحينا يتجهون إلى عقيدة المشركين ، يعيرونهم بها ، كما قال حسان بن ثابت :

جحدت بنو جمح بشقوة جدهم ... إن الذليل موكل بذليل

جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد ... والله يظهر دين كل رسول

وتأثر بعض الشعراء بالقرآن الذي نزل في تلك الغزوة ، فتحدث عن الشيطان الذي غر المشركين وأغراهم ، حتى إذا وجد الدائرة قد دارت عليهم ولى ، تاركا جنده للهزيمة والأسر ، وتحدث عن الملائكة الذين أمد الله بهم جند المسلمين ، قال حمزة :

أولئك قوم قتلوا في ضلالهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر

لواء ضلال قاد إبليس أهله ... فخاس بهم ، إن الخبيث إلى غدر

فقال لهم ، إذ عاين الأمر واضحا ... برئت إليكم ، ما بي اليوم من صبر

فإني أرى ما لا ترون ، وإنني ... أخاف عقاب الله ، والله ذو قسر

فقدمهم للحين ، حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر

وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم في مقام ثم مستوضح الذكر

فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهمو تجري

وألم ببعض هذا المعنى حسان بن ثابت فقال :

سرنا وساروا إلى بدر لحينهمو ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهمو بغرور ، ثم أسلمهم ... إن الخبيث لمن والاه غرار

وقال : إني لكم جار ، فأوردهم ... شر الموارد ، فيه الخزي والعار

كما سجل حسان ما قاله الرسول الكريم ، يوم وقف على القليب ، وقد طرح فيه قتلى المشركين ، فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا » فقال له أصحابه : « يا رسول الله ، أتكلم قوما موتى ؟ » فقال لهم : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » . سجل ذلك حسان في قصيدة يقول فيها :

يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب (١) في القليب

١ — جمع كبكبة وهي الجماعة من الناس .

ألم تجدوا حديثي كان حقا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا، ولو نطقوا لقالوا ... صدقت، وكنت ذا رأي مصيب

ومضى شعر المسلمين يسجل على قريش بغيها، وبطرها الذي سجله القرآن من قبل، فقال كعب بن مالك:

عجبت لأمر الله، والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا ... بغوا، وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس، حتى جمعهم متكاثر

وقال حمزة:

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم (١) ... فحانوا – تواص بالعقوق وبالكفر

ويسخر بهم وبدعاويهم التي يبعثها الرياء والغرور، قال أحد شعراء المسلمين:

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ... وماء بدر، زعمتم، غير مورود
وقد وردنا ولم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد (٢)

وقال حمزة ساخراً:

عشية راحوا نحو بدر بجمعهم ... فكانوا رهونا للركية من بدر

أما من فر من المشركين يوم بدر فقد اشتق منه شعر المسلمين بالتعيير والهزء والزراية، ومن أوجع ما قيل في ذلك ما أنشأه حسان بن ثابت في قصيدة تعد من أقوى ما قيل من الشعر في غزوة بدر، وسجل فيها فرار الحارث بن هشام، وتركه أخاه عمرا (أبا جهل) يقتل في ميدان القتال، فبعد غزل بدأه حسان بقوله:

تبلت فؤادك في المنام خريدة ... تسقي الضجيع ببارد بسام

وتخلص من الغزل قائلا:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة (٣) ولجام
وبنو أبيه ورهطه في معرك ... نصر الإله به ذوي الإسلام
لولا الإله وجريها لتركنه ... جزر السباع، ودسنه بحوامي (٤)

ولم يحتمل الحارث بن هشام هذا التعيير وأوجعه، واضطر أن يبرر فراره أمام القوم، فقال:

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فرسي بأشقر مزبد (١)
وشممت ريح الموت من تلقائهم ... في مأزق والخيل لم تتبدد
وعلمت أني إن أقاتل واحداً ... أقتل، ولا يضرر عدوي مشهدي
فصددت عنهم، والأحبة فيهم ... طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

وكان لهذا الحادث أثره ولا ريب في نفس الحارث، فأكثر من الشعر يتهدد به المسلمين ويتوعد، كأنما ينفس به عن نفسه

ومن أكثر ما ردده شعراء المسلمين يومئذ تعديدهم عظماء صرعى قريش ووصف هوانهم، ملقين على أرض المعركة، ينتظرهم مصير مؤلم في نار جهنم، ووصفهم الأسرى وقد شدوا بالأغلال وقيدوا بالأصفاد، وها هو ذا حسان يصف دائرة المعركة التي دارت على المشركين، فيقول:

طحنتهمو والله ينفذ أمره ... حرب يشب سعيرها بضرام
من كل مأسور يشد صفاده ... صقر إذا لاقى الكتيبة حامي
ومجدل، لا يستجيب لدعوة ... حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذ رأوا ... بيض السيوف تسوق كل همام

ويقول كعب بن مالك:

فبينا أبدنا جمعهم، فتبددوا ... وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فخر أبو جهل صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمي غادرن في الوغى ... وما منهم إلا بذي العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها ... وكل كفور في جهنم صائر
تلظى عليهم، وهي قد شب حميها ... بزبر الحديد والحجارة ساجر

وأشاد حسان وكعب بن مالك بموقف الأوس والخزرج من نصرة الرسول، ولم يشيروا إلى بلاء المهاجرين في تلك المعركة، على عكس القرآن، فإنه مدح المهاجرين والأنصار معاً، كما ذكرنا، ولعل ذلك راجع إلى أن جمهرة الجيش كانت من الأنصار، قال كعب بن مالك:

وفينا رسول الله، والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه ... يمشون في الماذي (٢)، والنقع ثائر

وصمت الشعر عن دور المهاجرين، الذين فضلوا المقيدة على

---

١ — أهلكهم
٢ — التصريد في السقي دون الري
٣ — فرس كثير الجري
٤ — حوافر

١ — الأشقر المزبد: الدم، يريد أن فرسه جرح
٢ — كل سلاح من الحديد

المال والأهل ، بل حاربوا الأهل عن رضا ، فى سبيل هذه العقيدة ، ولكن القرآن سجل لهم إيمانهم الحق ، ووعدهم بأكرم الوعود

وظهرت روح الإسلام فى شعر المسلمين ، فرأينا فخراً بالالتفاف حول الرسول وطاعته والائتمار بأمره ، وتصديق دينه ، قال شاعرهم

مستعصمين بحبل غير منجذم   مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول ، وفينا الحق نتبعه   حتى الممات ونصر غير محدود
واف وماض شهاب يستضاء به   بدر أنار على كل الأماجيد

ورأينا اعتماداً على الله واستناداً إلى قوته فى قول حسان :

فما نخشى بحول الله قوماً   وإن كثروا ، وأجمعت الزحوف
إذا ما ألبوا جمعاً علينا   كفانا حدهم رب رءوف

ولم ينس المسلمون ما هددهم به المشركون من الإغارة عليهم والأخذ بالثأر ، فهون شعراء المسلمين من ذلك ، بل أكدوا أن سيأتى يوم يغزون فيه مكة ، ويستولون عليها ، قال كعب ابن مالك :

فلا تعجل أبا سفيان ، وارقب   جياد الخيل تطلع من كداء (١)

* * *

أما موقف شعراء المشركين من تلك الغزوة ، فيظهر أن قريشاً تواصت على أن تخفى حزنها فى صدرها ، وألا تبوح بآلامها ، روى أن قريشاً ناحت على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا ، فيبلغ محمداً وأصحابه ، فيشمتوا بكم ، فكف الشعراء عن البكاء ، برغم ما كان يعتلج فى صدورهم من الهم والأسى

يروى أن الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث ؛ وكان يحب أن يبكى على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له : انظر ، هل أحل النحب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة (يعنى زمعة) ، فإن جوفى قد احترق ، فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته ، فعند ذلك قال الأسود :

أتبكى أن يضل لها بعير   ويمنعها البكاء من الهجود
فلا تبكى على بكر ، ولكن   على بدر تقاصرت الجدود
وبكى إن بكيت على عقيل   وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ، ولا تسمى جميعاً   فما لأبى حكيمة من نديد

ألا قد ساد بعدهم رجال   ولولا يوم بدر لم يسودوا

ولكن لم يلبث الشعر أن انطلق من عقاله ، ومضى الشعراء يتحدثون عما يجيش فى صدورهم من الألم والغيظ معاً ، فمضى بعض الشعراء يبكى فى حزن ومرارة من لقى مصرعه فى وادى بدر ، ويعدد عظماء هؤلاء القتلى ، ويصف ما نال مكة من الأسى لقتالهم ، فهذا شداد بن أوس يقول :

تحيى بالسلامة أم بكر   وهل لى بعد قومى من سلام
فماذا بالقليب قليب بدر   من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر   من الشيزى (١) تكلل بالسنام

وهذا أمية بن أبى الصلت يبكيهم ، ويثنى عليهم ، ويصف هم مكة بهم ، فيقول :

الا بكيت على الكرا   م بنى الكرام أولى الممادح
ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح
شمط وشبان بها   ليل مغاوير وحاوح
ألا ترون كما أرى   ولقد أبان لكل لامح
أن قد تغير بطن مكة ، فهى موحشة الأباطح

ومضى بعض الشعراء يبكون مصابهم الخاص ، أو يندبون بنى قبيلهم ، أو يرثون بعض عظمائهم ، ومن أمثلة ذلك رثاء الحارث بن هشام لأخيه أبى جهل ، إذ يقول فيه :

ألا يالقومى للصبابة والهجر   وللحزن منى والحرارة فى الصدر
وللدمع من عينى جواداً ، كأنه   فريد هوى من سلك ناظمه يجرى
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى   رهين مقام للركية من بدر

ورثاء أمية بن أبى الصلت لصرعى بنى أسد ، وهو يمثل الحزن الدفين فى صدورهم :

فبنو عمهم إذا حضر البأ   س عليهم أكبادهم وجعة

ولم يبك أبا جهل أخوه الحارث فحسب ، ولكن بكاه غيره من الشعراء ، فقد كان رأساً من رؤوس قريش ، فرثاه بعضهم بشعره كهذه القصيدة التى تنسب إلى ضرار بن الخطاب الفهرى ، والتى يقول فيها :

فآليت لا تنفك عينى بعبرة   على هالك بعد الرئيس أبى الحكم
على هالك أشجى لؤى بن غالب   أتته المنايا يوم بدر ، فلم ترم

وأخذ بعضهم يتوعد ، وينذر الأوس والخزرج بالانتقام

١ – جبل بأعلى مكة

١ — خشب أسود للصحاف .

والأخـــذ بالثأر ، ويخفف من غلواء الأنصار ، فيما ملأ قلوبهم من الابتهاج بالنصر ، ويدعو المكيين دعوة حارة إلى ألا يناموا على الضيم ، وأن يجمعوا أمرهم على أن يأخذوا بثأرهم ، وتسمع النزعة القبلية صارخة ، والفخر بالنسب قويا ، حين يوازنون بينهم وبين الأوس والخزرج ، ويدعون إلى الدفاع عن معتقداتهم وآلهتهم التي ورثوا عبادتها عن آبائهم ، وامتلأ بذلك كله شعر المشركين من أهل مكة ، فترى الحارث بن هشام يقول :

فإن لا أمت يا عمرو أتركك ثائراً (١)
ولا أبق بقيا في إخاء ولا صهر
وأقطع ظهرا من رجال بمعشر ... كرام عليهم مثل ما قط واظهري
أغرهم ما جمعوا من وشيظة (٢) ... ونحن الصميم في القبائل من فهر
فيال لؤي ، ذبوا عن حريمكم ... وآلهة لا تتركوها ...
تواريثـــها آباؤكم ، وورثتمو
أواسيها (٣) والبيت ذا السقف والستر
وجدوا لمن عاديتم ، وتوازروا
وكونوا جميعاً في التأسي وفي الصبر

ويقول ضرار بن الخطاب :

عجبت لفخر الأوس ، والحين دائر ... عليهم غداً ، والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار أن كان معشر ... أصيبوا ببدر ، كلهم ثم صابر
فإن يك قتلى غودرت من رجالنا ... فإن رجالا بعدهم سنغادر
ونترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلا الأماني ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة ... لهن بها ليل عن النوم ساهر

ولم ينس بعضهم أن يفتخر بما أبلى في ذلك اليوم من دفاع عن الصحب ، وإقدام في هذا الوطن الذي اعترف الشاعر بقسوته عليهم وشدته ، ترى ذلك في شعر أبي أسامة معاوية بن زهير إذ يقول معترفا بفرارهم ، وقتل الكثير من رجالاتهم :

ولما أن رأيت القوم خفوا ... وقد شالت نعامتهم لنفر
وأن تركت سراة القوم صرعى ... كأن خيارهم (٤) أذباح عتر (٥)
وكانت جمة (٦) وافت حماما ... ولقينا المنايا يوم بدر
نصد عن الطريق وأدركونا ... كأن زهاءهم (٧) غيطان (٨) بحر

١ — أي آخذ بالثأر ٢ — الوشيظة : الدخلاء في القوم .
٣ — الأسية من البناء الدعامة ٤ — جمع ذبح ٥ — اسم صنم
٦ — الطائفة من القوم ٧ — منظرهم المجتمع ٨ — فيضان .

وقال القائلون : من ابن قيس ... فقلت : أبو أسامة غير نخر
فأبلغ مالكا لما غشينا ... وعندك مال ، إن نبئت ، خبري
بأني إذ دعيت إلى أفيد ... كررت ، ولم يضق بالكر صدري
عشية لا يكر على مضاف ... ولا ذي نعمة منهم وصهر

وشاركت المرأة المشركة الرجل في البكاء على صرعى بدر ، وروى ابن هشام بعض شعر شاعراتهم ، كهند بنت عتبة ، وصفية بنت مسافر ، وهند بنت أثاثة ، فيما يروى لأولاهن قولها :

أعيني جودا بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم ... يعلونه بعد ما قد عطب
يجرونه وعفير التراب ... على وجهه عاريا قد سلب

ومن أجل ما قالته المرأة من الشعر في هذه الغزاة ما أنشأته قتيلة بنت الحارث ، تبكي أخاها النضر ، وتعاتب الرسول :

يا راكبا ، إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بوا كفها ، وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ، يا خير ضنء كريمة ... في قومها ، والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أسرت وسيلة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

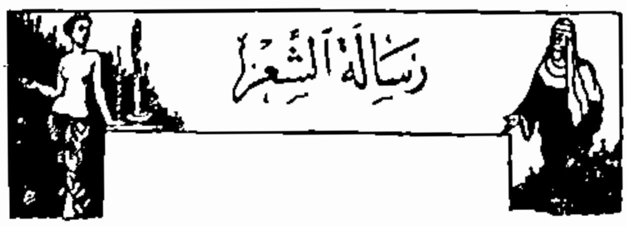
ويروى أن رسول الله لما بلغه هذا الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

كان شعر المشركين في جملته أقوى في تلك الغزوة من شعر المسلمين ولا غرو فإنهم كانوا موتورين ، وكانت ريح الانتقام والغضب تفوح من شعرهم ، حتى ليخيل إليك أنهم قد مضوا إلى الأخذ بثأرهم :

ويلاق قرن قرنه ... مشي المصافح للمصافح

وبعد فقد صور القرآن الغزوة تصويراً إلهيا ، يتخذ منها دروساً وعظات لهداية البشر وإصلاح أمورهم ، أما الشعر فقد تحدث عن عواطف شخصية ليس لها طابع إنساني عام .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول



صلوات روح

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سموت بالروح إلى خالق   فى ليلة نشوى بخمر الضياء
ذابت بها الظلمة حتى غدت   أسطورة طال عليها العفاء
ورق فيها النور مسترسلا   كهمس ناى هائم فى الفضاء
ما زلت أسمو ، والمنى فى يدى   رفافة مثل النجوم الوضاء
وفى شعورى نشوة حلوة   تسكب فى نفسى أرق الغناء
وملء نفسى فتنة ترتوى   من روعة الليل، وسحر المساء
حتى انتهت روحى بأشواقها   لمنهل الغيب الذى فى السماء
كما انتهى للنبع بعد السرى   فى البيد ركب الحائرين الظماء
فانتفضت فيها ضراعاتها   وأطلقت فى الصمت هذا النداء :
يا منهل الغيب ... اسقنى قطرة   من ذلك النور ، وهذا الصفاء
تجعل حياتى نغما شاديا   فى عالم يهفو إليه الرجاء
أحسه صوتا عميق الصدى   يهز أعماق بسحر الدعاء
وصورة طال عليها المدى   وما خبا فيها رفيف الرواء
يا منهل الغيب ... وبى حيرة   قد صيرتنى أستحق الرثاء
كطائر أبعد عن عشه   فهام فى إحدى ليالى الشتاء
وبى حنين يتحدى الثرى   ويرتقى بى طائرا حيث شاء
ولى قيود تتمنى سدى   لو اننى أنسى سبيل العلاء
لبستها ثوبا إله الورى   قد صاغه لى من تراب وماء
حتى يحين الأجل المرتجى   فأنزع القيد ، وألقى الرداء
يا منهل الغيب ... وبى غربة   تنبت فى عمرى هموم البقاء !
لا الأرض دارى ، لا ، ولا أهلها   أهلى ، فكيف الصبر ؟ كيف العزاء
غريبة بالحب فى عالم   الحب فيه خدعة أو رياء
نسجته ظلا به يحتمي   وصغته نورا به يستضاء
وطفت فى دنياى مسحورة   تغمرنى إشراقة وانتشاء
أبحث عن روح أرى طيفه   يفتن أيامى بحلم اللقاء
فلم أجده ، فألفت المنى   حتى جفتنى ، فألفت البكاء !
غريبة بالصمت ... من نايه   يثير إلهامى أرق الحداء
أراه ظلا سابحا فى السنا   كطيف عطر سابح فى الهواء
وأحتسيه خمرة عتقت   فى الغيب ... يدرى سرها الأنبياء
والصمت سر هائم فى الدجى   يهفو إلى الغيب ، ويبغى الخفاء
ضاعت حياتى منه أسرارها   فاستغرقت فى عزلة وانطواء
والصمت سحر همت فى جوه   على جناحى لهفة واشتهاء
والصمت بحر موجه نائم   يحلم بالعودة من حيث جاء
عبرته وحدى على زورق   يود لو يسرى لغير انتهاء
وعدت منه بشهى الرؤى   وفى الرؤى رى ، وفيها غذاء
فالصمت عندى بالرؤى حافل   وعند غيرى حافل بالهباء
غريبة بالحزن ... نيرانه   تلقى على ضوئى ظلال الفناء
وسره فى داخلى كامن   عجب بالصمت والكبرياء
يدرى أساه من رمانى به   ومن تولانى بطول العناء
إليه أشكو وحده غربتى   وحيرتى فى الأرض . أرض الشقاء
ولهفتى الكبرى إلى موطنى   فى عالم يهفو إليه الرجاء
أبعدت عنه ، فعرفت الأسى   ولست أدرى سر هذا الجزاء !
خطيئة الجنة من آدم   علام تكوى نارها الأبرياء ؟

* * *

وأطرقت روحى بأشجانها   لعلها تسمع صوت القضاء
فاهتز فى أعماقها هاتف   يشع مثل البارق المستضاء
وقال فى صوت عميق الصدى   مازج الرقة فيه المضاء :
يا هذه الروح التى تشتكى   من دائها ، والداء فيه الدواء !
من يحمل الآلام يقصد بها   إن لم يحملها بروح الفداء
فلتحملى الآلام فى قوة   فإنها تخشع للأقوياء
ولا تضيق بحياة الورى   وتهربى مما بها من بلاء
وجاهدى الليل بهذا السنا   وكافحى الشر بهذا النقاء
فالبدر لا تظهر أنواره   إن لم يرقها فى ظلام المساء
والخير ما جدواه ؟ إن لم يكن   قد ألجأ الشر إلى الانزواء
ورقرقى نورك من نبعه   لكل ظمآن إلى الاهتداء
فالدر فى الأصداف مثل الحصا   ما دام لا يكشف عنه الغطاء
والبقلة الخضراء فى أرضها   خير من البستان بين العراء
حتى إذا ناداك رب الورى   وكنت قد أبليت خير البلاء
دخلت دنيا الغيب مزهوة   لتغنمى فيها دوام البقاء
هذا قضاء الله فى خلقه   لكل شىء محنة وابتلاء

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوي

صرخة أخرى من العراق:

ما أطيب قلبك، وما أكرم معدن نفسك .. لشد ما يعجبني فيك إخلاصك للفن، وتمسكك بالمثل العليا، وتفانيك في سبيل أنبل الغايات .. تخال الدنيا خلقت كما تشتهيها: نبل في الطبع، وحب للخير، وعبادة للجمال!

لقد أثارت في كلمتك عن «الفن الشهيد في العراق» عواطف كثيرة .. وكنت في كل لقاء لي معك أهم بأن أقول لك أنت صرخت صرختك المدوية لإنصاف شاعر واحد، في حين أن هناك عشرات من الأدباء والشعراء يتصارعون مع الحياة القاسية، ويكافحون في سبيل الحرية المسلوبة، ويلاقون في سبيل ذلك أشد العنت وأفظع التنكيل والاضطهاد!

يا أخي: إن المسألة ليست إنصاف شاعر أو ترضية أديب .. بل هي أعم من ذلك وأوسع شمولا . إنها مسألة الحق المهدور، والمقاييس الخاطئة، والضمائر التي أصابها الفساد فلم تشعر بالتبعة، ولم تعبأ بالمسئولية! إنها قصة كل بلد عربي، المحسوبية فيه فوق كل قانون، والعدالة في أرضه ضرب من الأفلاطونية التي لا تطبق، ومواطنوه درجات ورتب كعهود الرقيق!!

وحين تكون ذا ضمير نقي ونفس أبية، فقد حكمت على نفسك بالإعدام في أرض غريب عنها نقاء الضمير، عزيز فيها إباء النفس .. إن نقاء الضمير، وإباء النفس، ووفاء القلب، والإخلاص للمثل العليا، عملة زائفة في سوق أثمن بضاعة فيه أخس صفات الإنسان!

ولابد من أنك تعرف قصة الإله الذين يريدون أن يمسخوه عبدا، أو العملاق الذي يريدون أن يصيروه قزما .. إنه صاحب القلم!! ذلك الذي يقف في بدء حياته في مفترق طريقين: إحداها قصيرة مليئة بالرياحين، وارفة الظلال غنية بالعطور .. إنها الطريق التي يصل فيها الحق وفقراء الذمة والمدعين في الشرف إلى قمة المجد الزائف، حين تدفعهم الجرأة إلى أن يسموا الأبيض أسود، والحق باطلا، والظلم عدالة، والنخاسة ديمقراطية، والرذيلة فضيلة، إلى غير ذلك من قلب الأوضاع وعبث بالقيم .. ولا شك في أنك تجد في كل بلد عربي جمهرة كبيرة من أولئك المرجين الذين استبدلوا حياءهم بوقاحة، ووضعوا مكان قلوبهم قطعة من النقود!! وإنك لن تجد أديبا سرفها تقبل عليه الحياة مبتسمة، وتظلله السعادة بجناحيها النورانيين إلا من هذه الطبقة ...

أما الطريق الثانية فتلك التي تقود سالكها شيئا فشيئا إلى الموت البطيء .. تلك التي تجعله دائما في عداء مع الحياة! تلك التي تحرمه مما تحل الرأفة للحيوان الأعجم من قوت ومأوى .. وما تستوجبه الطبيعة من رعاية! آه ما أقسى الظروف .. لقد عاهدت نفسي ألا أتحدث عن نفسي .. وأراني اليوم مرغماً على نقض العهد لأن الإناء قد فاض، وامتلأ صدري بما يشبه القيح!

أغلب الظن أنك تعرف قصة حياتي في مصر . أو قل طرفا منها. وأغلب الظن كذلك أنك تعرف كيف كنت أكافح وحيداً قسوة الحياة الجافية ومرارة الدنيا العبوس .. وكيف كنت أجهد جهدي لا لأستمتع بنعيم الحياة أو لأنال وطراً من عهد الشباب، بل أقنع بالكفاف لمواصلة دراستي الجامعية .. وكنت دائماً تهمني بالنشاط .. عجيب أمرك والله! .. كأنك لا تعرف أن القلم مهما خط وسطر وملأ الصفحات فلا بقي بحظ يسير من أعباء الحياة!! إذا تنزه القلم عن أن يكون مأجورا، وأبى الضمير إلا أن يكون أبيض الجبين، وأخلص القلب للثالوث المقدس: الحق والعدالة والحرية!!

إنني لأذكر تلك الأيام والدموع تملأ قلبي؛ فقد كانت شديدة القسوة، ثقيلة الوطأة، عظيمة التكاليف .. وفي سماء

* * *

وخيم الصمت سوى نبأة	من الصدى قد آذنت باختفاء
فأذعنت روحي، وعادت إلى	دنيا الشقاء البكر والأشقياء
ولم تزل تعجب مما رأت	في ليلة نشوى بخمر الضياء
أكان وهما شاعري الرؤى	أم كان حلماً ساحري الهواء؟

إبراهيم محمد نجا

حياتي الحالكة تسطع مصر الكريمة كنجم منور : فإنني مهما كنت قليل الحظ من الوفاء فستظل لمصر منزلة أعظم بها من منزلة ، فقد أخذت بيدي من حيث نبذني وطني ، وأشفقت على من حيث لم أعرف من وطني إلا غلظة القلب ، وخشونة الجانب !

وطني ! .. تلك الأغنية الحبيبة التي كنت أرددها في ليالي السهاد .. وتلك الكأس التي تنعش روحي كلما أصابها جفاف الحياة .. لقد كنت أذكر وطني دائما ، وأجاهد لأرفع سمعته ، وأعرف الناس بالشعب الذي أنا منه .. ومع ذلك فوطني شحيح على ، ضنين بكل ما يثبت أن العراقيين متساوون في الحقوق !!

وفي كل سنة أذهب إلى بغداد لأنال ما يقره القانون لي من حق كطالب علم ، غير أن الأبواب تغلق في وجهي ، ويحال بيني وبين حكم القانون ، وأرجع إلى مصر خاوي الوفاض إلا من تلك العزيمة على مجابهة الحياة ومجالدة الأيام !

إن الحيرة لتشدد على الخناق ! أأنا لا أستحق مقداراً ضئيلا من المال أستعين به على طلب العلم ، في الوقت الذي تتدفق فيه الأموال من غير حساب لغير وجه الحق ؟! .. وهل أنا دون أولئك الذين تتدفق عليهم الأموال باسم العلم وهم بين كؤوس الطلي ومهرجان الرذيلة ؟! أحق أنني لا أستحق بعض ما يناله أصحاب الكروش والذين يحسبون الحياة امتلاء معدة حتى التخمة ، وإراقة الأموال على أقدام الغانيات وتفريغ الجيوب على الموائد الخضراء ؟!

لا يا صديق .. لقد أثرت شجني وملأت صدري بكوامن الهموم ، أنا الذي أحاول دائما أن أنظر إلى الحياة على أنها فصل قصير من رواية ساخرة .. لا أطيق اليوم أن ابتسم وقلبي يشرق بالدمع ، وصدري يعصف فيه الألم الحاد ، ونفسي فريسة للاحزان !

إنني أكتب إليك هذه الرسالة لا لترفعها إلى معالي وزير المعارف في العراق .. بل هي هزة ألم اعترت كياني فسطرتها لك . لأن المرء قد يجد نفسه في بعض الأحيان أمام قوة هائلة تدفعه من الداخل إلى أن يقول .. إلى أن ينشد لحناً حزينا .. إلى أن يفضي ببعض ما في نفسه !

إنني جئت إليك لا لأتظلم عن نفسي .. فغدا سوف أدخل المستشفى ، ومن يدري ؟! .. فقد أشهد خاتمة المهزلة ... مهزلة الحياة .. وأنا معلق بين السماء والأرض .. ولكن جئت لأتظلم عن كثير ممن يقضون حياتهم على مضض ، بعيداً عن رحمة الحكومة وحماية القانون !!

يا صديق . إنها قصة الظلم وليست شكاة الثائر ، لأن النقمة تتحول في نفسي إلى معدن كريم .. هو الجهاد ! ذلك الغذاء الروحي لنفوس حرمها الناس من الغذاء المادي .. وهو أدنى درجات الحياة !!

وتقبل من أخيك كل احترام وتقدير ؟

« القاهرة »   غائب طعمة فرمان

أنا من الذين يتقبلون الظلم راضين عنه مطمئنين إليه ، إذا كان فيه شيء من المساواة بين الناس . إنك حين تظلمني وتظلم سواي ولو بغير حق ، فظلمك للجميع إن لم يكن في منطق الفكر عدلا فهو عدل في منطق الشعور والوجدان ! وفي مثل هذه اللحظات التي تروع بأسر القيد وتلوع بوخز الجراح ، تكون المشاعر الإنسانية هي صاحبة الحكم الأول على رواسب الظلم في قرار النفوس .. أريد أن أقول لك إننا نحتكم في مثل هذه اللحظات إلى العقل أقل مما نحتكم إلى العاطفة ، ولنا الكثير من العذر إذا نحن خضعنا لمنطق الشعور وسرنا حسب هواه ، وفهمنا الظلم على أنه عدل مطلق ما دام مقترناً بالمساواة !

أتقبل الظلم على هذا الأساس راضياً عنه مطمئنا إليه ، ما دمت أنظر إلى من حولي على أنهم أقران لي ونظراء : كانا في الضيم قلب إلى قلب ، وكانا في الظلم روح إلى روح .. أما أن تفرق بيننا في الحقوق فتعطي باليمين حين تسلب بالشمال ، فهذه هي اللحظات الأخرى التي تنحدر فيها الضمائر وتنطمس المشاعر ، وتنمحي من سفر الإنسانية أجمل ما فيه من سطور وأفضل ما فيه من كلمات !!

أقول هذا وأنا أقدم إليك هذه الرسالة التي أوقدت بين جنبي شعلة الأسى والهبت بين يدي شباة القلم .. وتترنح الألفاظ على فمي وأنا أستعرض مرحلة أخرى من مراحل الكفاح ، الكفاح المقدس في سبيل العلم . نعم ، مرحلة أخرى .. فقد

كانت المرحـــلة الأولى هى تلك التى حدثتك عنها على صفحات الرسالة : إنها محنة تتبعها محنة ، وصرخة تعقبها صرخة ، ومأساة تلحق بها مأساة – ويا رنة الأسف للعراق الشقيق ويا رحمة الله للشباب الشهيد !

بالأمس عاش «الناصرى» غريباً فى وطنه وغريباً فى باريس، واليوم يستشمر « غائب » لذع الغربة فى القاهرة بعد أن لفحته بنارها فى بغداد . . وذنب الأديب والشاعر أن كليهما آثر العلم وآمن به ، وأحب العراق وأخلص له ، وأراد أن يقبس من وهج المعرفة ليعكسها على وطنه قنونا من الضياء . ولكن رياح الظلم قد اطفأت مصباح الأديب فبق فى الظلام ، وطوت جناح الشاعر فكف عن التحليق . . وذلك هو حكم العراق العادل حين يتطلع المخلصون إلى عدالة الأوطان !

وبعد هذا تسمع من يقول لك إن الشباب قد كفروا بالقيم، وسخروا من المثل ، وانحرفوا عن الطريق .. وماذا يفعل الشباب وهم يرون القيم الفاضلة تداس بالأقدام ، والمثل العالية تمرغ فى التراب ، والطريق القويم يملأ بالصخور والأشواك ؟ماذا يفعلون وقد عصفت الأهواء بكل ما بقى فى نفوسهم من أمن وبكل ما استقر بين جوانحهم من إيمان ! هذا الشاعر المكافح يحال بينه وبين العلم لأنه ليس من أصحاب الثراء ، وهذا الأديب المجاهد تغلق فى وجهه الأبواب لأنه ليس من أقارب الوزراء .. ويصل الذين قد عمرت منهم الجيوب وأقفرت العقول ، وقضوا حياتهم وهم ضيوف على موائد الملق والجهل والنفاق !!

أنا والله أكاد أكفر بالضمير الإنسانى لولا بقية من أمل .. بقية أحتفظ بها للغد القريب أو الغد البعيد ، الغد الذى قلت عنه من قبل إنه قد يزف الربيع إلى جفاف الغصون ، ويطلق الأحرار من زوايا السجون، ويحمل خمرة السلوان إلى ندامى الشجن .. الغد الذى قد يأتى بقلوب غير القلوب ، وعقول غير العقول ، وقادة غير القادة ، وعندئذ يجد الشباب الحيرون ذلك الظل الوريف الذى يحميهم من وقدة القيظ ولفح الهجير !

ماذا أقول لهذا الصديق الذى كنت أرقب خطواته فى طريق العلم ، وجهاده فى ميدان الأدب ، وصبره على تجهم الأيام ؟ ماذا أقول له وقد ترك الجامعة إلى المستشفى ، وحرم رؤية الأستاذ ليشقى برؤية الطبيب ، وهجر دنيا القلم ليصبح وهو طريح الفراش

يا أخى صبرا .. صبرا ولو كان هناك إنصاف وإجحاف ، ورعاية وإهمال ، وإغداق وحرمان ! حسبك أن النقمة تتحول فى نفسك إلى معدن كريم هو الجهاد ، وحسبى أن أسمع منك هذه الكلمة وهى صادقة ، وهى درع الأمان لكل محارب يتلقى الضربات ، وهى شاطئ النجاة لكل زورق يواجه العاصفة !!

عود إلى مشكلة القراء :

تتبعت تعقيباتك عن أزمة القراء، وإنها – والصدق يقال – لعين اليقين . إن قراء الكتاب فى هذه الأيام فئة قابلة للنقصان لا للزيادة، ولن يمر عدد من السنين – مع بقاء الأحوال الأخرى ثابتة كما يقول الاقتصاديون – إلا ويصبحون فى خبر كان .. أما عن قراء المقالة المحترمة ياسيدى فنظرتى إليهم أيضا سوداء ، والفئة الوافرة العدد هم قراء المقالة التافهة التى تنشر مذكرات فلانة الممثلة بقلم الكاتب التافه فلان ، وكأن مثل هذه السفاسف ومثل هذا المجون خليق بأن ينشر فيقرأ !

إن ذلك الذى هجر تجارة عصير الأذهان إلى تجارة عصير الفواكه لرجل ذكى بعيد النظر ، لأنه لم يجد فى الجو بارقة أمل لاستصلاح القراء فى مصر ، وإلا فما رأيك أننى لم أر فى كلية التجارة بجامعة فاروق طالبا يحمل كتابا أدبيا طوال ثلاث سنوات قضيتها فى هذه الكلية وكأن حرمها حرام على الكتاب ؟! وقد يقول قائل إن أبحاث الاقتصاد قد سدت من دونه المسالك ، ولكن للأسف فهى الأخرى مسجونة فى المكتبة لا تجد المخلص الذى يزورها إلا ما قد ندر !

الطلبة ياسيدى يريدون الحصول على الشهادة بأقصر طريق مشروع ، فالكتب تختصر، والمذكرات تختزل ، وهكذا دواليك إلى تنتهى إلى البرشامة الشهيرة .. إن رؤيتى أحمل كتابا أدبيا لكفيل باسترعاء أنظار الطلبة ، ما بين ساخر منى وبين مشفق على لإضاعة الوقت فى هذا الهراء ، بدلا من التمتع به متسكعا فى محطة الرمل على سبيل المثال .. وإنى لأعرف من الجامعيين من لا يشترى حتى الجريدة اليومية ، فبأى سلاح يتوجه هؤلاء إلى الحياة ؟!

ولكنى لا أحلام وحدهم عبء الاتهام ، بل أشرك معهم المدرس الابتدائى والثانوى فى تحمل التبعة ، فأغلب المدرسين ولا أقول كلهم قد هجروا الكتاب وتركوه ظهريا وكرسوا وقتهم

وجهدهم فى إعطاء الدروس الخصوصية التى هى كارثة التعليم بلا مراء . إن الطالب مرآة أستاذه وما تلقاه من الطالب فهو إرث انتهى إليه من الأستاذ !

أى مستقبل حالك السواد ينتظر الثقافة عموما فى مصر ، ولكن ماذنب عشاق العلم والأدب الذين يحرمون دون ما ذنب اقترفوه من مؤلفات كاتب مثلك ، يعلم الله مكانته فى قلبى وقلوب قرائه ؟! . إنك لا تتصور ياسيدى لهفتى ليوم الأحد من كل أسبوع كى أحصل على الرسالة ويكون أول باب أقرؤه هو « التعقيبات » !

ولكن ياسيدى ألا تضيف إلى فئة القراء فئة متعهدى النشر فى تعقيد هذا المشكل ؟ وما رأيك فى أننى ذهبت لشراء « رسائل الرافعى » للأستاذ محمود أبو رية فوجدته بأربعين قرشا ، مع العلم بأن ثمنه المعروف فى كل مكان هو ثلاثون قرشا ؟!.. أروى لك هذا منتظرا منك التعليق

« الاسكندرية » كمال عبد المنياوى

كلية التجارة جامعة فاروق

هذه الظواهر العجيبة التى يذكرها الأديب الفاضل حول مشكلة القراء ، قد عرضت لها بالبحث والمراجعة فيما كتبته قبل ذلك من فصول ، وبخاصة عندما تحدثت عن ثقافة الطلبة الجامعيين فى هذه الأيام .. وإذا كان الأديب الفاضل يقص علينا بعض مشاهداته فى جامعة فاروق ، فأود أن أقول له إن الحال لا تختلف كثيرا فى جامعة فؤاد . ولا فى جامعة ابراهيم ، ولن تختلف فى جامعة محمد على إن شاء الله !

إن ثقافة الجيل بوجه عام أمر يدعو إلى الأسف ويبعث على الرثاء ، ولست أدرى ما هى المعجزة التى يمكن أن تحدث حتى يقرأ الناس فى مصر ، سواء أكانوا جامعيين أم غير جامعيين .. أشهد أن لى صديقا يشتغل بمهنة التدريس فى جامعة فؤاد ، لا يكاد يكف عن الشكوى مما يلقاه من جهل الطلبة بفنون العلم وشئون الحياة ، ولا يكاد ينتهى من سرد الأدلة وضرب الأمثال وهو يحدثنى عن طلبة الجامعة ، هؤلاء الذين صدموه بالواقع المر بعد أن عاد إليهم دكتورا من جامعة باريس .. ويخبط الصديق كفا بكف وهو ينظر إلى ثائرا ويقول : يا أخى أقسم لك أننى كنت أعرف أسرة فرنسية صديقة ، وما من مرة أزور فيها هذه الأسرة إلا وتقع عيناى على منظر فريد ، منظر الخادمة وبين يديها كتاب مفتوح ، لا تكاد تلقى به إلا إذا دعيت لمطلب من مطالب البيت أو لأمر من أمور المائدة .. وإذا حدثتك عن شغف الخادمة بالقراءة وولعها بالاطلاع ، فلست بحاجة إلى أن أحدثك عن ثقافة السادة فهى فى غنى عن كل حديث ! الخادمات فى فرنسا يقرأن ، وطلبة الجامعة فى مصر لا يقرأون .. ألا تعذرنى إذا ما ضقت ذرعا بمكانى فى كلية الآداب ؟!

لقد عذرته بالطبع .. وبقى أن يعذرنى الأديب الفاضل إذا ما أرجأت طبع كتبى حتى تحدث المعجزة الثانية ، وهى أن ترفع وزارة المالية هذه الحواجز السخيفة التى تحول بين الكتاب المصرى وبين البلاد العربية .. إن الكاتب الذى يعتمد على مصر وحدها فى توزيع كتبه يجب أن يكون من الأثرياء ، ليستطيع أن يتحمل الخسارة المادية وهو يواجه أزمة القراء ! أما عن بعض الكتب التى تباع بأكثر من ثمنها المحدد فهى ظاهرة لم أسمع بها من قبل . لقد كنت أفهم مثلا أن يسلك الناشرون هذا الطريق إذا ما ساعدهم الجمهور القارئ وأقبل على آثار الكتاب ، أما أن يلجأوا إلى هذه الوسيلة وقراؤنا « الأفاضل » يؤثرون عصير البرتقال على عصارة الأذهان ، فهذا هو الغباء الذى يفوق كل غباء !!

وللأديب المنياوى أصدق الشكر على كريم تقديره ، وأخلص التهنئة على أن دراسة الأدب فى حياته لم تشغله عنها دراسة الاقتصاد !

من حقيبة البريد :

بين يدى كثير من الشعر ، وكثير من النثر ، وكثير من الأسئلة التى تدور فى محيط الأدب والفن . وأستعرض هذا الفيض من الرسائل لأقول لحضرات الشعراء والكتاب والسائلين ، إن « الرسالة » لن تحجم عن نشر ما يستحق أن ينشر ، وإذا كان هناك شىء من الإرجاء فرده إلى كثرة مايصلنا من نفحات الأقلام ، ولن تغلق الرسالة أبوابها يوما فى وجه أصحاب المواهب والملكات .. أما هؤلاء الذين يبعثون إلى بأسئلتهم الأدبية ، فوعدى معهم فى الأعداد المقبلة إن شاء الله

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

معالي الدكتور طه حسين باشا :

أبدأ بتهنئتكم بالإنعام السامي الذي شمل به جلالة الملك الأدب والفضل والهمة في شخصكم الكريم ، إذ منحكم رتبة الباشوية ، فقدر بذلك أعمالكم الجليلة ونشاطكم الدائب في خدمة هذا الوطن المحبوب ، وتوج به ما نلتموه من محبة أهل هذه البلاد وتقدير البلاد الأجنبية لشخصيتكم المتفردة ، لما تملأون به الدنيا وتشغلون الناس من سعي مثمر في خير الإنسانية ونشر العلم والثقافة

وقد اعتدت — يا معالي الباشا — أن أقصر في السعي مع الساعين إليكم في المناسبات المختلفة ، مؤثراً أن ألقاكم وأحدث إليكم في هذا الركن الهادىء من « الرسالة » على أن أزحم ساحتكم مع الزاحمين ، أبتغي بذلك لنفسي تجنب الزحام وما يلابسه من أذى ، والبعد عمن يستأذنون عليكم وما يبدونه من جفوة لأمثالي غير ذوي النفوذ والسلطان ! وأبتغي بذلك أيضاً لكم الراحة من واحد ، وإن كان واحداً من آلاف . أقول هذا لأعتذار من تقصيري ، ثم أخلص إلى ما أحببت أن أحدثكم به في هذا الكتاب الذي أوجهه إليكم على صفحات الرسالة كي أشرك قراءها في الموضوع ، وأزعم أني أتكلم باسمهم فيه ، فهم إما أدباء يهمهم الأمر أو محبون للأدباء لما يطالعون من انتاجهم فيودون لهم الجزاء الحسن على ما يسكبون من أرواحهم على الصفحات

تذكر يا معالي الباشا ، وأنتم تذكرون ، بلاءكم الحسن في المحنة التي وقعت فيها أسرة الأديب الكبير المرحوم الأستاذ المازني ، فقد كتبتم وعاودتم الكتابة ، مطالبين — قبل أن تلوا الوزارة — بتقرير معاش للأسرة الكريمة يكفل لها حياة كريمة، وتوجهتم إلى الأدباء أن يتضامنوا « ويجمعوا أمرهم على أن يلحوا على رئيس الوزراء ووزير المعارف أمرهما كله، وأن يؤرقوا ليلهما ويحملوا يومهما عسيرا ، حتى يفرغا من هذه القصة ، ويفرغا منها على النحو الذي نريده لا على غيره من الأنحاء » وشددتم في ذلك وألححتم فيه حتى قلتم : إن لم تهتم الحكومة بهذا الأمر فإني أتوجه به إلى جلالة الملك . ثم توليتم وزارة المعارف بعد قليل وحققتم ما ناديتم به ، إذ تقدمتم إلى مجلس الوزراء ، فقرر لولدي المازني وزوجته معاشاً شهرياً قدره ثلاثون جنيها . وقد حمدنا لك اهتمامك كاتبا ناقداً ، وشكرنا لك همتك وزيراً عاملا .

ولا شك أن عملكم في ذلك ، كان له أطيب الأثر ، لا لأنه خاص بأسرة أديب بعينه ، وإنما لما يقرره من مبدأ وما يهدف إليه من خير لسائر الأدباء ولأسرهم من بعد العمر الطويل الذي يثمر أدبا ينفع ويمتع ، ولكنه لا يغني من جوع .

هذا مثل آخر يا معالي الباشا وعميد الأدباء ، أسرة الشاعر الراوية والأديب المحقق المرحوم الأستاذ أحمد الزين ، لست بحاجة إلى أن أعرفكم بشعره وجهده في خدمة الأدب بإخراج مراجعه وتحقيق روائعه ، غادر هذه الحياة منذ أكثر من ثلاث سنوات وترك وليداً تكفله أمه ، وهما منذ ذلك الحين يعيشان في كفالة الضياع والإهمال . . ! كان الرجل قانعاً بكفاف العيش وبصيانة كرامته وأدبه عما يمس الكرامة ويشين الأدب ولو جلب نفعاً ومالاً كثيرا . ولكن الأسرة الآن بعد فقد عائلها لا تجد غير المقوق والحرمان .

خدم الزين الحكومة نحو خمس وعشرين سنة ، قضاها في دار الكتب المصرية ، يكد ويشقى في إخراج نفائس الكتب ، ويجازي بالأجر البخس يحسب له قروشاً في اليوم — لم ينصفه أحد حتى جاء « الإنصاف » فأنصف شهادته . . ! إذ وضعه من أجلها في الدرجة السادسة !

وليت أسرته تلق الآن مثل ذلك ! كل ما كافأتها به الدولة « مكافأة » لم تبلغ مائة جنيه قاسمتها الحكومة إياها . وتركتها تعاني ما تعاني من الحزن والبؤس والحرمان .

هذه محنة أخرى يا معالي الباشا وعميد الأدباء ، ليس أمرها الآن عسيراً عليكم ، ولست أنا في حاجة إلى أن أدعو الأدباء إلى

التضامن وإجماع الأمر على التنغيص عليكم وتأريق ليلكم وجعل يومكم عسيراً ... ولو احتجنا إلى أن نقول لما رددنا ... ولكن الأدباء مطمئنون لأن واحداً منهم ، وهو طه حسين بالذات ، يلى الأمر ، وأنا واثق من أن هذه المحنة ستنال عنايتكم ، فأنتم ولا شك لم تعلموا بها حتى الساعة .

ذلك يا عميد الأدباء ، وللأدباء عندك حقوق أخرى سكتوا عنها إلى الآن ، لأنهم كن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ... يؤثرون أن تفرغوا لمسائل التعليم وتيسيره وإنصاف أهله ، ولكنهم يتوقعون من عميدهم عملا يذكى الأدب ويشجع المشتغلين به ، وأنتم من أعلم الناس بما يلاقى الأدباء الذين لا يستظلون بحماية أحد ، من عنت وعقوق فى هذا البلد .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق التحية ووافر الاحترام .

الشعر المعاصر

فى رأى الدكتور ناجى :

قيل إن الدكتور إبراهيم ناجى سياق محاضرة عن «الشعر العربى المعاصر» بنادى الخريجين

كشكول الأسبوع

◻ خلا كرسى جديد فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية بوفاة المغفور له الأستاذ احمد حافظ عوض بك

◻ اجتمع معالى السيد فضل الرحمن وزير المعارف فى الباكستان ، بممثلى الصحف المصرية يوم الجمعة الماضى ، فتحدث إليهم عن الشؤون التعليمية فى بلاده ، فقال : إن نظام التعليم فى الباكستان يقوم على أساس المذاهب الإسلامية ، وإن الباكستان تعمل على أن تصبح اللغة العربية وسيلة التفاهم بينها وبين سائر البلاد الإسلامية. وقد كان مما لا يتفق مع هذا الغرض أن دار الحديث فى هذه الجلسة باللغة الانجليزية

◻ اعتاد الدكتور زكى مبارك أن يشرح بعض الكلمات ثم يوجه الخطاب إلى رئيس المجمع اللغوى ويطالب بأن يكون عضواً فى المجمع ، وقد رأيته أخيراً يعتز ــ كدأبه ــ بالتنبيه على أن كلمة « استغراب » لها معنى آخر غير التعجب ، وهو أن يضحك الرجل حتى تبدو غروب أسنانه . قال الفتى الصغير : لقد قرأت هذه الكلمة بهذا المعنى كثيراً فى قصص الأستاذ كامل كيلانى للأطفال

◻ صدر أخيراً ديوان « إصرار » للشاعر الشاب الأستاذ محمد كمال عبد الحليم ، وهو لون جديد من الشعر القوى ، يستمد قوته من الصدق والحرية فى التعبير عن آلام المواطنين وأهدافهم . ولو نظرنا إلى ما يشيع فى شعر هذه المجموعة من روح قوى ، فإننا نراها بداية موفقة لهذا الشاعر الناشئ ، تدل على ما بعدها

◻ ألقى الأستاذ عبد السلام شريف محاضرة فى نقابة الصحفيين ، موضوعها « الفن يصنع أوربا الحديثة » ذهب فيها إلى أن الأشياء والمناظر الجميلة فى الحياة اليومية ــ فى المسكن والأثاث وزخرفة الأطباق وما إليها ــ تعتبر من الفنون التى ترقى أذواق الناس وتسعد حياتهم النفسية ، وكان مدار كلامه على مشاهداته فى البلاد الأوربية

◻ استرعى انتباهى بين وكلاء النيابة الذين يقومون بالتحقيق فى قضية الجيش ، اسم الأستاذ احمد فتحى مرسى ، وهو شاعر مجيد كانت الرسالة تنشر له كثيراً من الروائع ، من نحو عشر سنين ، ثم انقطع عن النشر ، ولم نعد نسمع عنه أو نقرأ له شيئاً ، فإلى هذا الصديق الكريم وإلى أدبه وفنه أطيب التحية

◻ حدث سقط مطبعى فى بعض اسم الأستاذ أنور فتح الله مترجم مسرحية « قلوب الأمهات » فى نقد هذه المسرحية بالعدد الأسبق

المصرى . وذهبنا نستمع إليه هناك ، فألقى علينا محاضرة ، أو ــ بتعبير أوفق ــ حدثنا حديثاً ، لا يصح أن نعتبره فى « الشعر العربى المعاصر » إلا إذا اعتبرنا أن هذا الشعر هو الدكتور إبراهيم ناجى وشعره لا غير ..

فقد بدأ بأن النقاد لا يحفلون بشعر المعاصرين ، إذ لا يكتبون إلا عمن فارقوا الحياة ، وهو يرى أن الشعر المعاصر ما قيل منذ عشرين سنة إلى الآن بخلاف الحديث الذى يرجع إلى خمسين سنة . . وأن الشعراء الأحياء « المعاصرين » لا يهتم بهم نقادنا .. بخلاف المستشرقين الذين عنوا بدراستهم . . وذلك أن أحد الناشرين الإنجليز أخرج كتابا جمع فيه مختارات من أشعار هؤلاء الشعراء ، والذى يهمنا مما احتواه هذا الكتاب ــ فى حديث الدكتور ناجى ــ هو قصيدته « العودة » التى ترجمت إلى الإنجليزية وإلى الفرنسية فجاءت فى الترجمة أحسن منها فى الأصل العربى ! كما قال الدكتور . . لماذا ؟ لأن الشعر الإنسانى هو الذى يصلح للترجمة ، وليس كذلك سائر الشعر ، فمثلا : دعت جريدة « الأهرام » فى وقت ما الأدباء إلى ترجمة قصيدة « يا نائح الطلح أشباه عوادينا »

لشوقى ، فلم يستطع أحد أن يترجمها ، والدكتور ناجى ممن حاولوا ذلك ، لأنها – كما قال – لا تصلح للترجمة !

وهكذا سقط أمير الشعراء فى الميدان أمام الدكتور ناجى فى الجولة الأولى ! وبقى أن يجول جولات أخرى يسقط فيها الباقون.

هناك أولا شعراء تنشر لهم «الرسالة» فيجب التخلص منهم؛ قال : لكى نعرف قيمة ما ينشر من الشعر « المعاصر » ننظر فى المجلات الأدبية التى هى أهم مايهتم به ، وأهم هذه المجلات «الرسالة» فى مصر و « الأديب » فى لبنان ، فلنقارن بين هاتين المجلتين من حيث ما ينشر بهما من شعر ، قال ذلك ولم يقارن . . إذ بدا له أن يقصر المقارنة على « الرسالة » من حيث ما كان ينشر فيها من قبل وما ينشر الآن ، وكل ما قاله فى ذلك ، أن الرسالة كانت فيما مضى تنشر للشعراء « الكويسين » أما الآن فإنه لم يبق شاعر تافه إلا ينشر بها ! ولم يمن الدكتور بذكر أسماء من كانت تنشر لهم الرسالة ، فليس هو منهم . . أما الذين ينشرون بها الآن فهم فى طريق الغارة التى يشنها بهذا الحديث على « الشعر المعاصر » والرسالة نفسها عقدة فى نفس الدكتور ... ولذلك فإنه ليس فى البلد نقد . . ألم يخرج ديوان ناجى فلم تكتب عنه الرسالة ! وإنه لا يذكر سبب ذلك ، فقد أتى إلى دار الرسالة يحمل نسخة من هذا الديوان مشترطا ألا يطلع عليها نقاد الرسالة . وشكرنا له هذا الفضل ! وليست الرسالة وحدها – فالحق يقال – هى التى أهملت ديوان ناجى (عملا بوصيته !) بل كذلك جميع الصحف والمجلات ، خلا « عمود فقرى » فى إحدى الصحف . . و « العمود الفقرى » من لفظه على سبيل النكتة . ونذكر أن الدكتورة بنت الشاطئ هى التى كتبت عنه «عمودا» فى الأهرام . ولم يفت الدكتور – فى هذه النقطة – أن ينبه على أن العباقرة لا يلتفت إليهم فى زمانهم ، فشكسبير مثلا لم يعبأ به الإنجليز فى حياته ، ثم كشف عنه الألمان ، ولكنا نرى أن الدكتور إبراهيم ناجى ليس كذلك . فالناس يلتفتون إليه ويهتم كثير منهم بأمره ، حتى لقد استنفد ما يستحق من ذلك .

ويتابع الدكتور إبراهيم ناجى حديثه عن « الشعر المعاصر » أو حملته عليه ليقضى على البقية الباقية ، وليثبت فى النهاية أنه هو الشعر المعاصر . فيقول : يتجه الشعر العربى الآن اتجاهين رئيسيين ، يسير الاتجاه الأول طبقا للمذاهب الأدبية المعروفة ، والثانى يتمثل فى محاولة خلق شعر حديث اجتماعى يوافق العصر الجديد ويتصل بالجماهير . فالمذاهب التى يسلكها الاتجاه الأول هى التقليدية اللفظية (الكلاسيكية) التى تعنى بالألفاظ «القاموسية» والدلالة المباشرة للكلمات دون التفات إلى روح الكلمة وظلالها ، ويمثل هذه (الكلاسيكية) الآن فى مصر ، الأسمر ، وأتى ببعض شعره الذى لا تجد فيه إلا « الكليشهات » المرددة التى لا روح فيها .

ثم المذهب الخيالى (الرومانسية) المشبع بروح المراهقة ولم يذكر لهذا المذهب أحداً من شعراء مصر ، بل قال إنه يتمثل فى شعراء الشام لتأثرهم بالأدب الفرنسى .

ثم الرمزية (السمبولزم) التى يمثلها فى مصر الدكتور بشر فارس ، وقال إن الدكتور بشر نقل غموض الرمزية إلى مصر ولم ينقل جوهرها .

ثم الواقعية (الرياليزم) التى جرى عليها العقاد فأخرج الشعر عن طبيعته ، إذ جرده من الانفعال وجنح به إلى الفكر والمنطق .

وأخيراً (السرياليزم) الذى يقوم على استيحاء العقل الباطن فى غيبة الشعور الواعى ، فتظهر فيه البدائيات الانسانية مختلطة ، كما فى شعر محمود حسن اسماعيل الذى يفخر بما كان يملأ عقل الإنسان الأول ، من مثل الكوخ والراهب والناى والمزمار . . الخ

وهكذا جبر الدكتور ناجى خاطر « الشعر المعاصر » المسكين الذى لا يجد أحداً يتحدث عنه . . فتحدث هو عنه بذلك الأسلوب ، ولم يفته أن ينبه الأذهان – تلميحاً وتصريحا – إلى أنه (الدكتور ناجى) هو الذى يقول « الشعر المعاصر » الذى فسره بأنه إنسانى خالد . . وهو يصف الشعر الإنسانى بأنه معاصر كيلا يشركه فيه القدماء ، وقد فرغ من الأحياء ! وقد قال إنه يتجه فى شعره إلى الجمع بين المذاهب المعروفة كلها ، ومرة أخرى قال إنه هو صاحب الاتجاه الاجتماعى الجديد الذى يعنى بالجماهير ، وكأنه ترك من يمثل (الرومانسية) فى مصر (على بياض) لأضعه أنا فى هذا البياض .. ومما يدل على (رومانسيته) أن المراهقة وخيالاتها تبدو واضحة فى شعره رغم كبره ، ولعله

يوافقني – وهو من المشتغلين بالدراسات النفسية – على أن المراهقة ليست خاصة بالشباب ؛ فهي فيهم بالفعل ، وهي أيضاً في الشيوخ بالقوة ..

الضمان الاجتماعي في الإسلام :

ألقت الدكتورة بنت الشاطىء محاضرة في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية يوم السبت الماضي ، موضوعها « تطبيق الضمان الاجتماعي في الإسلام » قالت فيها : لا أزعم أن تشريع الضمان الاجتماعي الذي تقوم به الآن وزارة الشؤون الاجتماعية كان موجوداً في الإسلام بصورته الحالية ، وإنما أقول إن الإسلام وضع مبادئه وترك تفصيلاته للمجتهدين بما يوافق الأحوال والأزمان ، وذلك أن الإسلام خصص جزءاً مما يتجمع في بيت مال المسلمين من الأوجه المختلفة كخمس الغنائم والتركات التي لا وارث لها – خصص جزءاً من ذلك للفقراء والعجزة والمحتاجين ، وجعل ذلك حقاً لهم ، كما حث الأغنياء على التطوع بالصدقات . وذلك كله تحقيق للوحدة الاجتماعية التي يحث عليها الإسلام . وقد اختلف الأئمة فيما عدا الأموال المنصوص على وجوبها ، كإعانة المحتاجين والإحسان إلى المعوزين ، فقال بعضهم إنها صدقة تطوع ، وذهب آخرون منهم ابن حزم إلى أنها واجبة وأن على كل من عنده فضلة مال أن يعين بها من هو في حاجة إليها ، ويجب على أغنياء البلد أن يعولوا كل من فيها من الفقراء العاجزين عن الكسب

وعرضت بعد ذلك لتطبيق تلك المبادىء في الحياة الإسلامية فذكرت بعض ما جاء في تاريخ الخلفاء كالوليد بن عبد الملك ، من اهتمامهم بأمر العاجزين عن الكسب وترتيب الأرزاق لهم ثم تحدثت عن قضية وقعت في صعيد مصر سنة ١٩٢٠ ، تتلخص في أن امرأة غاب زوجها غيبة منقطعة وتركها هي ووليدها الصغير دون مال أو عقار ، فتقدمت إلى محكمة نجع حمادي الشرعية طالبة الحكم لها ولابنها بنفقة على زوجها الغائب والحكم لها بالاستدانة ، على أن تدفع وزارة المالية باعتبارها بيت مال المسلمين النفقة المطلوبة وتعتبرها ديناً على المحكوم عليه تستقضيه إياه حينما يظهر . . . وحكم لها القاضي بذلك ، وكان القاضي هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد فرج السنهوري . وجاء في حيثيات الحكم أن وزارة المالية هي بيت مال المسلمين الذي تجب فيه نفقة هذه المرأة الضعيفة وولدها الصغير العاجز عن الكسب ، لو لم يكن لها عائل ، وجزعت وزارة المالية من هذا الحكم لأنه يفتح باباً ينفذ منه جميع من في القطر المصري من أرامل وعجزة وأيتام وغيرهم من المحتاجين العاجزين ، واهتمت وزارة الحقانية بالأمر فعهدت إلى تفتيش المحاكم الشرعية أن يبحثه .. وبحث « التفتيش » المسألة وأصدر منشوراً إلى المحاكم الشرعية ألا تنظر في أمثال هذه الدعوى لأن القضاء غير مختص بها ، وأمر « التفتيش » بعدم تنفيذ ذلك الحكم لأن تنفيذه ، مع ما يستجد ، يؤدي إلى إفلاس بيت مال المسلمين

وبعد انتهاء المحاضرة أجابت الدكتورة على عدة أسئلة وجهت إليه منها هذا السؤال : ألا يعتبر الإحسان إلى الفقير إذلالا له ؟ قالت : إنه حق . وليس معنى الإحسان الاذلال ، قال الله تعالى « وبالوالدين إحساناً » وقال : « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بإحسان »

عباس خضر

رسالة الفن

اخراج رواية «ابن جلا»

تعليق على تعقيب

للاستاذ أحمد رمزى بك

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

أشكر للأستاذ البارودى الكلمة التى تفضل بالتعليق بها على كلمى حول إخراج رواية «ابن جلا»

وأبادر بأن أعلمه أن قصدى من النقد هو إبداء الرأى رغبة فى الاصلاح لا فى الهدم، ثم أعلمه بأننى أعد عمل عزيز أباظة باشا وعمل محمود تيمور بك فى كتابة «شجرة الدر» نظما وتأليف «ابن جلا» نثرا، فتحا جديداً للمسرح العربى، لا يقل بحال عن الفتح الذى بدأ به أمير الشعراء، رحمه الله. ولذا أطلب المزيد من إخراج حوادث وأيام ومظاهر تاريخنا العظيم...

وليسمح لى الأستاذ بأن أصارحه أننى أجل الصديق العزيز زكى طليمات بك وأقدر علمه وفنه وأعرف تماما ما بذل من جهد فى التمثيل والتخريج والاخراج، وأنا على يقين من المصاعب والعقبات التى واجهته فى كل ذلك، ولذا أهنئه من كل قلبى

ولى الحق بعد هذا أن أقول له بإخلاص: إن أخبار الحجاج معروفة فى كتب الأدب والتاريخ وأعماله مشهورة ومشهودة، وقد كنت أنتظر منه ومن تلامذته وطلابه الرجوع إلى امهات الكتب العربية لا إلى كتب المدارس الثانوية لكى يتعرفوا على روح العصر ولكن يتصلوا بالحجاج وأقواله وشخصيته وزمنه اتصالا وثيقا

وما أقوله عن رواية «ابن جلا» ينطبق على رواية «شجرة الدر» كنت أؤمل فى أن يتغلغل الممثلون ورجال الفن بالعصر الذى دارت فيه ظروف هذه الرواية وأن يعيشوا حقبة وسط أدواره وأيامه

أقول هذا لأن الصورة التى ظهر بها صديقى زكى طليمات بك فى دور الحجاج ليست صورة الحجاج «رغم ما كان يعتمل ويحتدم فى باطنه من استعلاء»

ثم أقول إن الصورة التى ظهر بها بيبرس فى «شجرة الدر» لا تمت بصلة إلى شخصية بيبرس

إننى لن أتكلم عن التأليف التاريخى فى المسرح العربى، لأن الكتاب والشعراء لا يزالون يجاهدون فى الخطوات الأولى وهى ليست هينة، ويصعب على ابداء رأى قاطع وان كنت أقرر أن التأليف التاريخى يحتم الاستعانة بأهل الخبرة والاطلاع، ولا يسعنا أن نطالب من المؤلف أن يلم بكل تفاصيل التاريخ ولكن لا ندع هذه الفرصة تمر دون أن نشير عليه بأن يلم بروح العصر وبالعوامل النفسية التى كانت تختلج فى صدور أبطاله

وأعود إلى الإخراج فأقرر بأننى أعد الإخراج بدائيا، إذا لم يكن منطبقا على أصول الإخراج المعروفة، بصرف النظر عن فكرة هل فى وسع المخرج ماديًا مراعاة هذه الأصول أم لا...

لأننا نطالب من المخرج حينما يتعرض لإخراج الروايات التاريخية شرائط يلزم نفسه باتباعها، فأما أن تكون بين يديه فيحصل على تحقيق نهاية ما يمكنه من الإخراج الصحيح أو ما يقرب من الصحيح، وإما أن يعتذر عن الإخراج الذى لم تستعد له البلاد بعد

ولا أزال على رأيى من أن الإخراج التاريخى لا يزال بدائيا فى مصر، وهذه حقيقة ثابتة ملموسة واضحة منذ أيام الشيخ سلامة حجازى إلى اليوم. والأدلة على ما أقول كثيرة ولا محل لتكرارها

أما الإخراج فى غير هذه الروايات التاريخية، وأقصد بالتاريخية ما تمس تاريخنا وعصورنا، أقول إنه حينما وجدنا المشق أمامنا، فى التمثيل والتخريج والإخراج، جاء تقليدنا موفقاً بقدر يقظتنا واهتمامنا بالنقل عن المسرح الأوروبى والتأثر بمناظره وحركاته وإشاراته

وكنا نشعر بأن تخريج شخصية لويس الحادى عشر بواسطة الأستاذ الجليل جورج أبيض بك كان موفقا جدا، بل إننى لا أجد شائبة واحدة على إخراج الملابس والأثاث والمناظر لهذه الرواية

لا من الناحية التاريخية ولا من جهة مطابقة المناظر والأثاث والملابس للحقيقة التي كانت سائدة في عصر لويس الحادي عشر

لماذا لازم المسرح العربي هذا التوفيق ؟

لأن القائمين بالتمثيل والاخراج في مثل هذه الروايات وجدوا الشق والصورة والنموذج أمامهم في كل شيء ، فلم يكن أمامهم سوى التقليد في إخراج الرواية وتخريج الشخصية ومحاكاة التمثيل في الالقاء والاشارة

ولذا أعد مهمة المخرج العربي ورسالته محصورة مؤقتا في الأخذ بالروايات الكلاسيكية أو الأوروبية المشهورة التي سبق للمسارح العالمية إخراجها ، وذلك حرصا مني على الخطوات التي سار فيها المسرح المصري ، ولكي لا نتعثر في الأخطاء الكثيرة التي وقعنا فيها في رواية « شجرة الدر » و « ابن جلا »

وليس ذلك من قبيل تثبيط الهمم أو الدعوة إلى إهمال الروايات التي تمثل أزهى عصورنا التاريخية ولكني أقولها بصراحة وفي مواجهة المسئولين والمختصين انني أحرص على تراثنا التاريخي حرصا لا مزيد عليه ، وأريد أن أعيش لأرى هذا التراث على المسرح ، بمظهر القوة والعظمة في التمثيل والاخراج ، الذي يرتاح اليه ضميري ويطمئن له قلبي ويرضى عنه شعوري وإحساسي بقدسية هذا الماضي الذي يملأ كل جوانب نفسي

وإني كرجل يقدر رسالة المسرح العربي وأثره في يقظة الشعور القومي والوعي التاريخي لا يسعني إلا أن أشير إلى ما يصاحب هذه الفكرة من عقبات تتعلق بالبحث والدرس والتدقيق وما يلزم كل ذلك من ابتكار وابتداع وخيال وصناعة ، فنحن الذين نقلب صفحات كتب التاريخ القديمة لا نعطي لأنفسنا أكثر مما نستحق أو أبعد مما نعلم إذ لكل جهد غاية ونهاية ، وقد تقف بنا الجهود عند رأي أو فكرة وقد نعلم أشياء عن عصر معين ، ونجهل أشياء كثيرة عن عصور أخرى ، فمقدار علمنا في كثير من هذه الأمور محدود ، ومقدار تشبعنا بأي عصر من العصور قاصر عليه قد لا يتعداه .

فاذا طلب إلى المسرح بفرقه المختلفة إخراج بعض الروايات التي تمثل عصر الحجاج أو شجرة الدر أو صلاح الدين أو العصر العباسي يجب أن نتدبر الأمر وأن نفكر فيه ، حتى لا نقع في المتناقضات والأخطاء التي يصح أن تكون موضع انتقاد الغير واتقاصه لسمعتنا .

وعليه أعتقد ــ ولا جناح عليّ في ذلك ــ إن جهود المسرح العربي يجب أن تتوافر على إخراج رواية تاريخية في العام الواحد ، وأن يكون الاستعداد لها ــ ماديا ــ بعد دراستها دراسة علمية : تستند على ثقافة وافرة واطلاع عميق على النصوص التاريخية وعلى علم الآثار ، وعلى تفهم ميزات كل عصر في كل ما يتعلق بالملابس وشارات الملك والأسلحة والأثاث والمهار ، ولا يسع عالما واحداً أن يقوم بكل ذلك بل أن هذا العمل يستلزم تعاون طائفة من أهل الفن والعلم والاختصاص .

وأظن أن الأستاذ البارودي لا يخالفني في هذا الرأي ... أما قوله إن الروايات التاريخية يجوز إخراجها بملابس ومناظر عصرية فرأي له أنصاره وهو تمكين الجمهور من الاستماع إلى رنين الألفاظ واداء المعنى المقصود من عبارات المؤلف ، ولو أخذنا في إخراج « شجرة الدر » « والحجاج » بهذا الرأي لم يكن لمثلي أن يتكلم منتقداً ملابس العصر وشواهده ...

أما وقد أخذ المسرح بالإخراج التاريخي لا العصري فأنا عند رأيي الأول من أن إخراج الجند الشامي في رواية الحجاج بملابس القرن العشرين جاء مضحكا ، وأن كثرته إمعانا في التسلية إلباس أحد قواد الحجاج ملابس القائد الإيراني لعهد مظفر شاه ...

وحيث أننا انتقلنا من المذهب العصري إلى الإخراج التاريخي وجب علينا التقيد بالرأي القائل بأن يكون الإخراج مطابقاً في مناظره وملابسه للحقيقة التاريخية .

وإلا جاز إخراج رواية لويس الحادي عشر بملابس نابليون ، وإلباس لويس الرابع عشر ملابس عهد الثورة الفرنسية . أؤكد للقارئ أن أي مسرح أوروبي يقدم على هذا الخلط والمزج الغريب يسقط في فرنسا سقوطا فاحشا ...

ولقد استشهد الأستاذ البارودي ببعض روايات برناردشو في كلامه ؛ ولكن ما رأيه في أن برناردشو حينما أشرف على كتابة محاورات رواية كيلو بطرة ، اهتم بالإخراج اهتماما بالغاً ، فتتبع حياة يوليوس قيصر ، وعكف على دراسة مختلف ملابس العصر والألوان التي كان يلبسها ويعجب بها قيصر ، وأن تدقيقه في أسلحة ذلك الزمن ، دفعه إلى استعراض كل ما كتب عنها وتصفح سور المجموعات العالمية لها ، حتى وفق إلى لون الدروع

المحببة إلى قيصر والتي كان يحملها في الحفلات

ولقد حاولت ومن غيرى أن أجد فى الرواية منظرا نابيا أو أجد خطأ فى ملابس القواد والجند والخدم والحاشية ، أو تساهلا فى الأثاث والمبانى ، أو شيئا يمت إلى عصر لاحق لعصر قيصر فلم أجـــد شيئا من ذلك ، فعرفت حقا أن الإخراج التاريخى لمانة …

إننى أصدقه ، فى أن الإخراج الواقعى أى محاولة تمثيل الواقع حرفيا أمر صعب ، بل إذا قصـــد به إخراج الواقع فى الحياة وما يلازمها تماما كصورة طبق الأصل ، أصبح الاخراج أدعى إلى ضجر الجمهور ، لأن التمثيل والاخراج يحتاجان إلى الخروج عن قاعدة مجاراة الحقيقه التى يعيشها الانسان فى حياته العادية

ولـكن الأمر هنا يتعلق بمعرفة القدر اللازم إدخاله من المغالاة فى التعبير والاشارة ، ثم إلى حسن الاختيار ، وهنا يبرز خيال المخرج ليلتقى مع صناعته وذوقه فى صعيد واحد وهذا هو الفن ، ولـكن اتساءل هل هذا المذهب يبرر القول بأن استعمال الخط النسخ بدل الـكوفى مسألة ثانوية ، إذ ما ذنب الجمهور الذى يتلقى درساً خاطئاً فى حقيقة تاريخية ثابتة كان يسهل جدا على المخرج تلافيها ؟ وما أسهل ذلك عليه ، بوضع الكتابة على الأعلام كوفية فى رواية « ابن جلا » وبالنسخ فى « شجرة الدر »

إن المجهود الذى بذله الأستاذ زكى طليمات بك فى التمثيل رائع حقاً ، وفى الإخراج عظيم . وقد شرح لى عزته المصاعب التى كانت أمامه ، ولـكننى كرجل حريص على تاريخنا الإسلامى الذى نتحدر من أيامه وتتكون شخصيتنا من مواقفه وعظمته الخالدة ، أقول إن الشخصية التى ظهر بها على المسرح ليست شخصية الحجاج ، إنها أقرب ما تكون إلى تيمور لنك أو شخصية « أورسون ويلز » فى روايته السينمائية لما مثل بورجيا أو القائد الاسيوى بايان فى « الوردة السوداء » .

الحجاج وهو سيف بنى مروان يحتاج إلى دراسة أعمق من هـذا لـكى نظهره ، كما قال الأستاذ البارودى « أداة سياسية فى المجتمع أو خادما ساهراً على مصلحة الجماعة » أو لـكى يظهر « بطلا تاريخيا تمحى فرديته أمام عنصره السياسى التى هى إلى الجماعة بصفة عامة » .

إن تقمص شخصية الحجاج تحتم أولا تفهم عصر الحجاج ، كما أن إبراز المعانى الـكامنة والغامضة تستدعى تكشف الدوافع النفسية ، وكل هذا يتطلب أن يعيش الإنسان فى عصر الحجاج ولو فترة بين المراجع . كنت أنتظر أكثر من هـذا ولـكنى لا أزال أؤمل وأنتظر من الصديق زكى طليمات بك ما هو أعظم وما يتفق مع « ما يعتمل ويحتدم » بين جنبين من آمال كبيرة ورغبة للوصول إلى آفاق بعيدة ..

أحمد رمزى

مسرحية ابن جلا

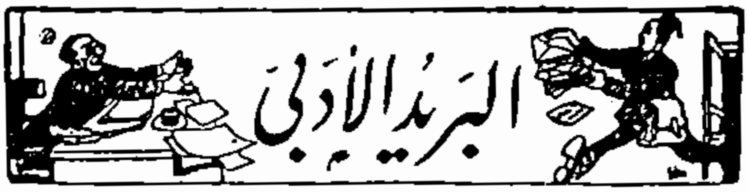
لما نشرت الرسالة الغراء نقد مسرحية « ابن جلا » للأستاذ أنور فتح الله ، رأيت فى نقده تحاملا ظاهراً على المؤلف لا يستند إلى حقيقة ولا يرمى إلى غاية بريئة وهو نفس الأمر الذى لاحظه أستاذنا الزيات فعلق عليه بقوله « إن الناقد قد نظر إلى المسرحية بعين السخط فرأى المساوئ »

والأستاذ الناقد من خريجى قسم النقد بمعهد التمثيل الذى أقوم بالتدريس فيه ، وهو فى نفس الوقت ناقد ناشئ مجتهد ، ومن هنا وجدت تشجيعاً له وتـكريما أن أعقب على نقده وليس بينى وبينه سوى هذا ، فلم يكن هناك داع أن يجأر الناقد فى مقاله بأنى تعديت الناحية الموضوعية للنقد إلى التعريض بشخص الناقد الذى لم أذكره بخير أو بشر إلا فى حدود ما خطه قلمه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن معرفتى بصاحب المسرحية أستاذنا تيمور بك هى عن طريق مؤلفاته إذ أنى لم أتشرف بمعرفته أو لقائه حتى اليوم لظهر أن تعقيبى على مقال الناقد كان بريئاً خالصاً لوجه الفن والحقيقة وأنه لم يكن مستساغا هذا الغمز

ويأتى اليوم ناقدنا البصير ويردد ماقاله فى نقده الأول ويهرب من مآخذى بتصوير دوافع شخصية خيالية تحويها . وهـذا أمر لايليق بناقد فى مستهل حياته أفسحت له مجلة كبيرة صدرها . وإنى لأنصح له مخلصاً أن يلتزم جانب الحق وأن يرجع إليه دائما وليس بضائره هذا بل إنه لأكرم وأجدى. أما إذا كان يرى أن فى تسفيه

أعمال كبار الكتاب سبيلا إلى التقدم نحو الصفوف الأولى فهو لا شك يخطئ خطأ جسيما في حق نفسه وفي حق قرائه. وأخيراً فإني أعتبر عجزه الواضح في تعقيبه إقراراً منه بأنه قد أساء فهم المسرحية التي نقدها واكتفي بهذا إذ ليس من شيمتي أن أجادل في غير طائل

اسماعيل رسلان



أمنية كبرى تحققت

كنت وإخواني المصريون، في السنوات التي قضيناها نطلب العلم بباريس، نلاقي من كثير ممن نتصل بهم، من الفرنسيين وغير الفرنسيين الذين تجمعنا بهم صلة الدرس أو السكن، جهلا عجيبا بالإسلام وتقاليده. وكذلك وجدت الأمر بالنسبة لمن اتصلت بهم وتحدثت إليهم من المسلمين بإنجلترا وأسبانيا في رحلتي إليهما عام ١٩٤٨ وحين زرنا ألمانيا صيف ذلك العام نفسه، باعتبارنا أعضاء بمؤتمرات الشباب العالمي الذي انعقد بمونيخ في شهر يونية، وجدنا نفس الشيء في شباب ألمانيا، وربما على نسبة أكثر ومدى أوسع

وفي هذا المؤتمر كان من حظي وحظ أخي وصديقي الدكتور أحمد مسلم المدرس الآن بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول، أن وقع علينا عبء البحث والنقاش في اللجنة التي عهد إليها بحث مشكلة زيادة عدد النساء عن عدد الرجال في ألمانيا بعد الحرب التي أكلت الشبان. وكان أن عرض كثير من المؤتمرين، وهم من أجناس وأمم ودول مختلفة من جميع أقطار الأرض، حلولا غير ناجعة لهذه المشكلة، وحسبنا أن نذكر أنه كان منها إباحة «المخالة» رسميا وجعلها في منزلة الزواج منزلة واعتبارا!

وكان أن عرضنا، زميلي وأنا، الحل الوحيد الذي يعالج هذه المشكلة علاجا طبيعيا شريفا دائما، نعني به إباحة تعدد الزوجات في التشريع الألماني وغيره من تشاريع البلاد الأخرى التي تعاني نفس المشكلة. وهنا وجدت كثيرا من العيون تسلقنا بنظرات حداد. وكثيرا من الشفاه تنفرج عن كلمات عدم الموافقة بل استهجان الاقتراح، وحين طلبنا السبب في كل هذا، عرفنا أن جمهور المؤتمرين لا يعرفون عن الإسلام شيئا طيبا يجعلهم يقبلون بعض تقاليده، وبخاصة مسألة تعدد الزوجات. وبعد لأي، وبعد شرح منا لوجهة نظر الإسلام في هذه المسألة وأن الحل الذي يراه هو الوحيد الذي يمكن معالجة هذه المشكلة به هذه الأيام، ابتدأت الأسارير تنفرج، وابتدأ المؤتمرون يقبلون مناقشة الاقتراح ويقبلون بجد على تقليب وجوه الرأي فيه

ثم عدنا إلى الوطن، وشرعت ألمانيا الغربية تعد دستورها الجديد، وإذا بمدينة «بون» العاصمة يقترح أهلها - كما نشرت الصحف هنا - يقترحون أن ينص في الدستور على إباحة تعدد الزوجات علاجا للمشكلة التي يحسها كل ألماني إحساسا شديدا!

كان من أماني إذا، وقد عدت للوطن، واستقررت فيه من جديد، أن يكتب كتاب عن الإسلام عقيدة، وأخلاقا، وتشريعا، ونظاما اجتماعيا، ومذهبا اقتصاديا، إلى سائر نواحيه المختلفة حتى الدولي منها. موقنا أن هذا العمل يجعل التفاهم بيننا وبين المسيحيين غير الشرقيين أمرا سهلا ميسورا، ما دام كل منا سيصبح وقد فهم غيره حق الفهم. وقد قدمت في ذلك أكثر من تقرير لمشيخة الأزهر. وكتبت فيه أكثر من مقال في مجلة الرسالة الغراء وغيرها. وكان مما ذكرته في الرسالة في عدد يناير سنة ١٩٥٠ ما يأتي:

«علينا إذا أن نقرب هذا الدين، وأن نجلوه للطالبين: عقيدة وأخلاقا ونظاما اجتماعيا، في كتاب قريب التناول نترجمه للغات جميعا في الغرب والشرق، ثم نوزعه في أقطار الأرض كلها. بهذا وحده يستطيع أن يعرف الإسلام من يريد، وبهذا نكون أدينا واجبا لهؤلاء الحائرين وما أكثرهم، وللإنسانية كلها، لأن أكثر ما كتب عن الإسلام تعوزه الدقة أو الإنصاف». وكانت هذه الكلمة موجهة لفضيلة الأستاذ الأكبر، الشيخ الشناوي حينذاك

وفي العدد الصادر بتاريخ ١٣/ ١١/ ١٩٥٠ م كتبت كلمة أخرى من الأزهر ووجوه الإصلاح فيه ليؤدي رسالته في مصر وغير مصر، وقلت في آخرها: لماذا لا يعمل الأزهر على تقريب

الإسلام بوضع كتاب عنه فى نواحيه المختلفة ، ثم يترجم هـذا الـكتاب بكل لغات العالم ويوزع فى أقطار الأرض كلها ؟ »

ولم أكتف بمـا قدمت من تقارير وكتبت من مقالات ، دعاوة لمـا أرى وتأييداً له ، بل تحدثت بذلك إلى غير قليل من رجالات الأزهر مراراً عديدة ، وشرعت فى إعداد نفسى لهذا العمل بمـا أخذت أجمع من نصوص ووثائق وأسانيد ، تمهيداً لوضع الـكتاب المرجو بالعربية أولا ثم لترجمته ثانياً

لهذا كله ، رأيت نفسى أشد الناس فرحا بما نشرت الصحف من توفيق الله تعالى ، ولاتا صاحب الجلالة الملك إلى الإشارة بوضع رسالة عن الإسلام تبين فضله ومزاياه ، ثم تترجم للغات الحية ، ومن أن فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الأزهر عهد بهـذا العمل الجليل إلى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت . حينئذ أحسست برد الراحة التى يحسها من يجد أنه وصل إلى ما كان يتمنى ، من آكد الطرق وعلى أحسن الوجوه . ويقيننا أن الله قد كتب التوفيق لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت فى هذا المهم الجليل الذى له ما بعده والله الهادى إلى سواء السبيل

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر

شكر للأبرار

قبل أن أقدم جزيل شكرى وعظيم امتنانى إلى إخوانى أدباء العرب فى كافة أقطارهم ، على موقفهم النبيل الذى وقفوه تجاه محنتى من وزارة المعارف العراقية العمومية وتصلب وزيرها الصحفى معالى السيد خليل كنه ، أود أن أتريث قليلاً لأزف أسمى آيات الإخلاص إلى أستاذنا الجليل أحمد حسن الزيات الذى فسح صدر «رسالته» الغراء لى ، وأعمق عبارات الود والأخوة إلى كاتب التعقيبات الأستاذ الناقد الفذ أنور المعداوى على شعوره الطيب تجـاه أخيه الشاعر ، حيث قد وقف قلمه على نصرتى ، وهذه رنة لا ينساها إلا من فقد معانى الوفاء وتنكر للجميل ! كما أرجو أن أكون عند حسن ظن الجميع ، وختاماً أود أن أرفع شكرى أيضاً إلى الذين وصلتنى منهم رسائل وبرقيات ولم أستطع أن أرد عليها فى حينه لجهلى عناوينهم ، وأن تكون هذه الكلمة بمثابة رد للجميع ، وأسأل الله أن تبقى مصر أم الثقافة وزعيمة البلاد العربية ، منارا يهتدى بنوره المدلجون ...

بغداد — أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصرى

عودة

للاستاذ ثروت أباظه

عشر سنين أحمل الداء فى هذه الزائدة التى أبقاها الله فى الانسان ليغض من كبره كلما تكبر، ويذل من عتوه حينما يعتو..

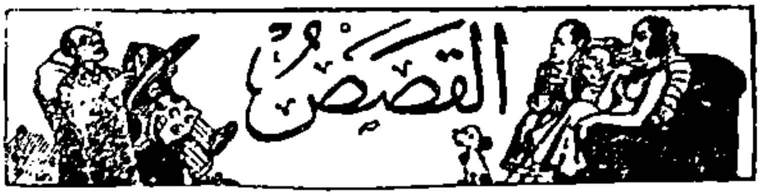
عشر سنين أحمل الداء وأتشبه بالقوم فأروح وأغدو لا يعلم أحـد علام أقفل هذا الصندوق الآدمى، ويروننى فيرش المحب الملح فوق رأسى خشية الحسد، ويكتم الحقود الحقد فى نفسه أو يبديه فى ألفاظ مادحة وأنا أتلوى ساعات فى اليوم حتى لقد ظن الأهل أنى أبالغ ثم أقوم من تلك الأزمة اليومية لأشكر الملح للصديق ولأتظاهر بالفرح للحسود

عشر سنين ودعائى إلى الله كلما أقبل اليوم أن يخف فيه العذاب، ثم أفـكر فيما أنا فيه فلا أجد لى غير الأطباء مخرجا وما أزال بهم أو ما يزالون هم بى حتى أصبح صديقهم جميعاً وحتى أصبحت أفهم فى مرضى أكثر مما يفهم بعضهم . لقد كنت مجتمع آرائهم وحقل تقافتهم فمن حق هذا المكان الآدمى أن يفهم وأن يفهم كل ما يقولونه وقد فهمته فشقيت به وأسلمت أمرى معهم إلى الله

عشر سنين لا يضع طبيب يده على مكان العلة منى بل هو دائما فى المكان الخاطئ وعلى الرأى اليائس وأنا أسلم أمرى إلى الله وأشكر نعمته التى وهب فما أقل ما كنت فيه إذا نظرت إلى غيرى، وما أهون ما لاقيته من شر إذا ذكرت ما يسكبه على سبحانه من خير

عشر سنوات ثم يشاء الرب الكريم أن يتم النعمة ويكشف من الطب الغشاوة عن تلك الزائدة التى أمر الله أن تظل فى الانسان بقية من حيوانيته . . ويشاء الله أن ينكشف الغشاء وأنا فى أوج الخير الذى يسكبه على فأغض من كبر كاد أن يركبنى وأذكر أننى ما زلت هذا الحيوان صاحب تلك الزائدة التى تألم لتذكر !

سبحانك رب هل أنا أهل لكل هذا الخير الذى تحيطنى به... تسكب على النعم حتى لتتولانى الخشية ويكاد الكبر أن يداخلنى، وحينئذ وحينئذ فقط تشاء حكمتك الرحيمة أن تكشف عن علتى فتزول بها مرض الجسم ومرض النفس ... سبحانك رب ...



قلب الابن . . .

للاستاذ كمال رستم

مهداة الى سعادة الأستاذ محمد كامل البهنساوى بك صاحب الأقاصيص المأثورة

. . رق إبراهيم إلى العربة وقال مخاطباً الحوذى

— عيادة الدكتور رأفت

وساط الحوذى جواده فتحامل الحيوان الجاهد على نفسه وجرر أقدامه فى تثاقل وبطء وهو يكاد أن يتكفأ من التعب والأنين . . .

وتنهد إبراهيم تنهدة عميقة وهو يرقب العربة تتحرك فى هينة ورفق كأنما قد خرج بها إلى نزهة وليس إلى أمر ذى بال . . وهمه أن رأى العربات تمضى بمربته سريعاً كأنما جيادها شياطين جن وأزمع أن يصرخ فى الحوذى ليحث جواده المتهالك على السير. ولكن الرجل كان قد برق فى ذهنه نفس الخاطر وأهوى سوطه على ظهر الحيوان فى قسوة وعنف لحث خطاه وأنفاسه حشرجة محتضر ...

ولكن الجواد وقد حدره السير تباطأت خطاه مرة أخرى وتقاربت فماد الحوذى يلهب بالسوط ظهره والسباب يطفح من فمه

وانصرف إبراهيم بذهنه عن الرجل وجواده وأوى إلى أفكاره يمايشها . . انه ترك أمه فى البيت طريحة الفراش . . وقد تمناها المرض وتحلل بها حتى ليوشك أن يوردها موارد الموت ...

وبدا له غريباً أن يحدث هذا لأمه . . وأن تفارق روحها بدنها الناحل وهى مسمرة به . . ورمضت صورتها لحظة فى ذهنه . . هذه الأم التى علت بها السن وهى بعد موثقة الخلق شديدة الأسر كفتاة فى العشرين، فاستكثر أن تمنو هذه الحياة الكبيرة لمرض فوت . ولكن الحقيقة أن أمه كانت تعانى المرض . . وأنه أقمدها لأول مرة فى حياتها عن أداء واجبها . . وذكر أنها كانت وهى مدنفة تشرف على البيت مملكتها الصغيرة تناقش الزوجة وتراجم الخادم كما تفعل كل يوم . . دون أن تترك للمرض الوافد فرصة للتغلب عليها ...

كان البيت بيتها، هى ربته تدبر حركته وتصرف أموره على النحو الذى ترضاه، وتأبى على الزوجة أن تطلق يدها فى شأن من شؤونه . . كانت تنهض من فراشها فى الصباح الواعد فتبعث بالخادم إلى السوق لشراء حاجات الطعام، فاذا عادت من السوق وقد امتلأت سلتها بالخضر والطماطم واللحم دار بينهما بادئ الأمر حديث هادئ كان لا يلبث صوت أمه بعده أن يرتفع فى ثورة وغضب، لأن الخادم — فى وهمها — سرقت نصف قرش ...

وحينما تتهيأ لطهو الطعام ويملو صوت « وابور الغاز » كانت تتمشى على شفتيها بسمة الرضا والسعادة ، فصوت الوابور يحكى عندها صوت الموسيق تنتشى له وتطرب . . وعندما كان ابنها يعود من عمله مجهداً مكدوداً كانت تستقبله بابتسامة حلوة وتقول له

— أعددت لك اليوم فاصوليا تأكل معها أصابعك ...

وكان يجيبها وهو يربت على كتفها قائلا :

— نعم الطعام طعامك يا أمى! لاعدمنا يديك ...

وتنثنى راجعة إلى المطبخ وقد استغرقتها السعادة لمديحه وإطرائه . . بينما يدلف هو إلى غرفته ينضو عنه ثيابه . وكانوا يجلسون ثلاثتهم إلى المائدة يتناولون الطعام ويتشققون الأحاديث ...

وعندما كانوا يفرغون من تناول طعامهم كانوا يأوون إلى أسرتهم يغفون القيلولة ولا يبارحونها إلا على أذان العصر

وهل يملك هذا المخلوق الحقير الا أن يسبح باسمك ويسبح، ثم يريد النبى أن يشكر فاذا أنت سبحانك تسكب عليه الخير مرة أخرى فتهيئ له النعيم والبركة فهو منقلب من خير لك إلى خير منك أوسع ا سبحانك رب ا وهل الطبيب إلا برك يسعى على الأرض يستعين بك فتعينه ، ويستلهم وحيك فتلهمه سبحانك

ثروت اباظه

فتجهز له أمه القهوة، وبعد أن يتناولها كان يرتدي ملابسه وينطلق إلى الطريق ...

ولكن هذا لم يكن يحدث في كل وقت .. فالغالب ألا يمضي اليوم هكذا هادئاً دون أن يعكر صفوه نزاع أو شجار يقوم بين زوجه وبين أمه ... ولقد اعتاد أن ينصت إلى شكايتهما .. ويحاول جهده أن يصلح بينهما دون أن يتحيز إلى إحداهما .. ولكن موقفه هذا كان لاينجيه من غضب الاثنتين جميعاً . فأمه ترميه بمحاباة الزوجة .. والزوجة تتهمه بمظاهرة الأم .. ويمضي به اليوم أيأس ما يكون اليوم ... ولم يكن هذا النزاع بين زوجه وأمه لينتهي أبداً .. وأبهظت هذه الحال أعصابه..وأمضته فكان ينفر من البيت وينطلق إلى الطريق يقتل وقته في المقاهي والمشارب يسلو ويتعزى .. وكان يعود متأخراً إلى البيت فيجد في انتظاره زوجته غضبي .. تشكو له أمه وتنعى عليها أنها سبب شقائهما في حياتهما كزوجين .. إنها تعرف أن أمه لا تحمل لها إلا البغض . وهي لا تنسى أنها عارضت في زواجه منها ... لأنها كانت تأمل أن تزوجه من ابنة أختها ... ولكن إبراهيم ركب رأسه وأصر على أن يتزوج منها هي لأنهما كانا متحابين ... وأنها لذلك تسعى إلى تعكير ما بينهما من صفو لتحملهـا على مغادرة البيت ... ولقد تبينت خطأها آخر الأمر ... فما كان ينبغي أن تقبل أن تبنى به وأمه لا تبارك زواجهما ... وكان ينهض من فراشه في الصباح خائراً مكدوداً فيمضي إلى أمه يقرئها تحية الصباح فتردها عليه فاترة ... وتقول له إن زوجه أدارت رأسه ... وأنها تعمل على إفساد ما بينهما ... وتذكره بأنها أمه ... أمه التي حملته في بطنها ... وقامت على تربيته إلى أن غدا رجلا ... إنها أعدته للزمن أمناً لها في شيخوختها ... ولكن امرأة لم تتعب في تربيته ... امرأة أجنبية ... تبعث في قلبه العقوق وتنفره منها وهو صامت لا يتكلم ... إنها تعلم أن زوجه تريد أن تقسرها بعنادها على مبارحة البيت ليصبح لها على اتساعه ... وستفعل هي ذلك يوماً ما دام أنه يظاهر زوجه عليها ... وستمضي إلى شقيقها تقضي عنده ما تبقى من أيامها وإنها القلائل وتدعه لزوجه تهنأ به ... وحينما ينطلق إلى الطريق محتضناً أفكاره كان يفكر في حياته الشقية هذه ... انه لا يذكر أنه شعر بالهدوء يوماً ولا بالراحة منذ أن تزوج ...

إن أمه كان يعز عليها أن يشركها في حبها زوجته. وكثيراً ما كان يهم بأن يطلب منها أن تعدل أسلوب معاملتها لزوجه، ولكنه كان لا يلبث أن يضعف ويستخذي ويقنع نفسه بأنها ستفعل ذلك من تلقاء نفسها حالما تدرك أن سلوكها هذا يتعسه ويشقيه ... ولكنها لم تشأ أبداً أن تقدم على هذه الخطوة من جانبها . وبات النزاع بينها وبين زوجه لا ينفض إلا ريث أن يعود من جديد ... وآخر مرة هددته زوجه بأنه إن لم يوقف أمه عند حدها فإنها ستغادر بيته إلى الأبد ... ولكن ها هي ذي أمه — طريحة الفراش لا تقوى على حركة ... واندس خاطر جرى بين خواطره له همس حبيب ... « لو أن أمه تموت ! » . نعم فإنه يود أن يتحرر من إسار بنوته ويخلص إلى زوجه التي لم ينعم بحبها لحظة واحدة ... وومضت في خياله صورة زاهية لمستقبله الهانئ مع زوجته ... إنهما يعيشان في البيت وحدهما ... يتذاكران الماضي ويستعيدان مشاهده ... ثم انتقلت خواطره إلى أن وقفت به عند أمه ... فأقنع نفسه بأنها أخذت حظها من الحياة، وأن الخير في أن تمضي عن الدنيا الآن وقبل أن يعتد بها المرض ...

وأخرجه من تأملاته صوت الحوذي يقول

— عيادة الدكتور رأفت بابك ..

فهبط معجلا ...

ولما عاد إلى المنزل مع الطبيب تقدمتهما زوجه إلى غرفة المريضة ...

هناك رأى أمه ممددة على الفراش منهوكة القوى مهدومة ...

وكانت عيناها مغلقتين ... وصدرها السميح يخفق وأنفاسها الحارة تتلاحق ...

وبدا وجهها المعروق وقد زايلته حمرته ... وشاعت فيه بدلا منها صفرة الموت ...

وتقدم الطبيب من مهادها وأمسك بمعصم يدها ... بعدها التفقد، ففحص عينين أنهكهما المرض وكحلهما السهد ... وفحصها ... ووصف الدواء ...

وخلا إلى الزوجين وقال لهما :

— لا معدى من إجراء جراحة فهي الأمل الوحيد لإنقاذها ...

وليس من الأطباء من أضمن أن يقوم بإجرائها بنجاح إلا الجراح الكبير

« محمود باشا سامى » ... فإذا أمكن أن تنقلاها غداً إلى مستشفاء بالقاهرة فلا ترددا ... وإلا ضاع الأمل فى إنقاذها إلى الأبد ...

وصافحهما ومضى ...

وقالت زوجه:

— لتحضر لها الدواء ... وليفعل الله بعد ذلك مايشاء ... إنك لاطاقة لك بنفقات جراحة لا طائل تحتها ... وأنت تعلم من هو محمود باشا سامى ...

وأمن الزوج على قولها وقال :

— نعم ليفعل الله ما يشاء ...

وخرج يحضر الدواء ...

وراح ذهنه طول الطريق يبرق بشتى ألوان التفكير ...

وفجأة ... أحس بشعور جديد وافد ... يطرق قلبه ...

إنه الألم ... الألم الذى راح يغلف روحه فى غير هوادة ...

بدا له أن أمه عزيزة عليه ... وأنه يحبها كما لم يحبها من قبل ...

وتراءت له صورتها الحبيبة ... يوم أن كانت تملأ حركتها البيت ...

وراح يقابلها بصورتها وهى مسجاة على الفراش ... لا تقوى على حركة ... فزخرت بالألم نفسه ... وجاش الحزن صدره، وخيل إليه لحظة أنه لا يطيق العيش بعدها ... هذه الأم التى أحبته من أعمق قلبها ...

وشعر بالخزى والعار لأنه تمنى لها الموت ...

وكان قد بلغ الصيدلية فابتاع لها الدواء وانقلب عائداً إلى البيت محتضنا أفكاره ...

ودخل غرفتها ...

وكانت أمه مسترخية على الفراش وقد تآلف جفناها ...

وتباطأت دقات قلبها ... ووهنت أنفاسها ...

وكاد مشهدها أن يستل روحه من بين أضالعه

ووسد راحته جبينها الصلت ... وقال فى صوته الخفيض

— أماه ألا تزالين نائمة ...

وفتحت جفنيها المطبقين ... وكما لو كانت الحياة دبت فيها من جديد ... عشت على شفتيها بسمة واهنة وهمست

— إبراهيم ؟

— نعم يا أماه ... لقد أحضرت لك الدواء ... وسيمسح الله مابك ... وتعودين إلى طهو الطعام لأنى لا أسيغه من غير يديك ...

ووهنت ابتسامتها حتى كادت أن تتلاشى وقالت فى صوتها الهامس ...

— لقد ضعفت يا إبراهيم ... لا بأس ... إننى أحس بأن حياتى انتهت ...

وخنقته العبرات وهو يقول

— لاتقولى ذلك يا أماه. إنك فى خير وعافية

... ولم تتكلم ... وراح ابنها يحدق فيها ... فى وجهها الحبيب الذى طالما طالعته ابتسامته ... وخيل إليه فى لحظة واحدة أنه على استعداد لأن يضحى كل شئ فى سبيل أن تبقى ... أن تعيش ... أن يراها مرة أخرى تملأ البيت ... وأن تستقبله بابتسامتها المريضة ... وأن تجلس إلى المائدة تطرى الطعام الذى صنعته له ...

وفكر فى غمرة ألمه وحزنه أن يفعل شيئاً مريحا لإنقاذها ... إنه سيسحب فى الغد من صندوق التوفير نقوده كلها ويوقفها على شفاء أمه ... على برئها ...

وانحنى فوق وجهها الناحل يقبله فى حنين وهو يقول :

— أماه ... سنسافر غداً إلى القاهرة ... وسأقوم إلى جانبك إلى أن يتم إجراء الجراحة لك وتبرئى من مرضك ...

وعشت على شفتيها ظلال ابتسامة ... وبدا له أنها متعبة مكدودة ... إذ تآلف جفناها فجأة ... فتراجع إلى غرفته ... والدموع ملء عينيه ...

كمال رستم